الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالـــي و البحث العلمـي

جامعة أحمد دراية– أدرار–

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

دور جريدة البصائر في إثراء الساحة النقدية بالجزائر

مذكرة مقدمة لنيل شهادة "ماستر" في اللغة والأدب العربي

تخصص أدب جزائري

من إعداد الطالبتين:

ساحسي أسماء

رقادي عائشة

بإشراف الأستاذ:

العلمي حدباوي

لجنة المناقشة	الصفة	الرتبة	الجامعة
العلمي حدباوي	مشرفا ومقررا	أستاذ	أدرار
لخضر لغزال	رئيسا	أ.دكتور	أدرار
محمد الأمين خلادي	مناقشا	أ.د.بروفيسور	أدرار

تاريخ المناقشة: يوم 09جوان 2019م، الموافق: 6شوال 1440هـ. التوقيت: من 10:30 إلى 11:30.

السنة الجامعية:1440/1439هـ -2019/2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جاءكم

بصائر من ربكم

فمن أبصر فلنفسه

ومن عمي فعليها

وما أنا عليكم بحفيظ

صدق الله العظيم

سورة الأنعام 104

الشكر والعرفان

الشّكر قيد النعم... وليس أحق بالشكر من الله تعالى،

الذي بلطفه وحولهما كان لنا أن نكتب حرفا، ولا نخط كلمة.كما قال الشاعر:

لولاه ما خطّت يمناي صفحة   ولما استوى قلمي وأرسل ناطقي

والشّكر بعد هذا وإن لم يوفه لا القلم ولا اللسان حقه، والذي كان فضله وعطاؤه كريما، فلا نملك أن نقول إلّا كما قال الشاعر:

إلى الذي أسدى الجميل تفضلا -*- أستاذنا أكرم به من حاذق

من كان ناصحا وموجّها -*-   حتّى استقامت من بعد ذلك أوراقي

أستاذنا الفاضل العلمي حدباوي الذي أشرف على تأطيرنا في هذا البحث، منذ كان بذرة إلى أن صار ثمرة، صنعته توجيهاته السّديدة ونصائحه القيمة، فشكرا لك أستاذ على صبرك وجهدك ونصحك، وعلى تحمل مشقة درب هذا العمل، ووفائك وإخلاصك، وعرفانا منا بفضلك على هذا البحث الذي لولاك لما أشرقت شمسه ولا نضجت فكرته، راجين من المولى عزّوجلّ أن يضعه في ميزان حسناتك لتجزى به عنّا خير الجزاء في الدّنيا والآخرة.

كما نتوجه بالشكر إلى جميع أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أدرار وخارجها .

كما نتوجه بالشكر إلى الأستاذة بوعيطة صبرينة و الأخ مقوم جلول اللذين أعانانا و كانا سندا لنا في إنجاح هذا العمل .

وفي الأخير نتقدم بالشكر والعرفان والتقدير إلى كل من تذكرنا بكلمة طيبة أو دعاء خفي، ولا نملك أن نقول إلا كما قال خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام:"إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب".

الإهداء

إلى النّهر الدّافق الّذي لا ينضب والدي العزيز (عبد الكريم).

إلى أيكة الظّل الوارف الغاليّة والدتي العزيزة (مريمة).

إلى الأحبّة الذين شاركوني الحياة بحلوها ومرّها ووقفوا معي في كل خطوة

إخوتي وأخواتي الّذين كانوا سندي دائما.

إلى الذي أشرقت شمسه في سماء حياتي والذي جعلني أتمسك بالأمل في النجاح

والدراسة جيدا والتفاؤل والصبر عز الدين .

إلى كل من يحمل لقب ساحسي وولد الصافي وجعفري.

و إلى كل زملائي وزميلاتي من الطفولة حتى الجامعة.

إلى كل من علمني حرفا من الطّور الابتدائي حتّى الجامعة.

إلى الذي تفضل بإشرافه على هذا البحث فجزاه الله عني كل خير.

وإلى كل من يؤمن بأن بذور نجاح التغيير هي في أنفسنا

قبل أن تكون في أشياء أخرى... إلى كل قارئ لهذه المذكرة ومشفّع بها.

تقبّلوا مني أطيب وأبهى عبارات التقدير و الاحترام.

أسماء

الإهداء

أصل البداية فكرة، وأصل الفكرة دوافع، وما أصعب تجسيد الأفكار على أرض الواقع, غير أنها تذلل بمثل هؤلاء الذين أهدي لهم هذا العمل.

إلى اللذين هما أهل للمدح بكل فضيلة, ورؤيتهما مبعث للأعمال الجليلة   والداي الكريمان

إلى الذين هم بكمال عملي هذا أسعد من كل الخليقة   أهلي وأقاربي

إلى من علمني أن العلم تواضع والنجاح إرادة و الحياة عمل   أستاذي المشرف

إلى الذين علموني أن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة نحو الأمام   أساتذتي في كل المستويات

إلى من بعثتا في الصبر و المثابرة وكانتا سندي لأجل تحقيق طموحاتي أختاي صبرينة وفاطمة

إلى التي قاسمتني معاناة البحث وكانت راحتي وقت التعب   زميلتي في العمل

إلى من جف حبر قلمي عن ذكرهم   ولم يضق قلبي عن حملهم

عائشة

مقدمة

إن الحركة النقدية في الجزائر عرفت تأخرا نسبيا عن النقد العربي بصفة عامة، وهذا راجع إلى ما شهدته الجزائر من أحداث ووقائع في فترة الاحتلال التي كان لها أثر بارز على الإبداع الأدبي آنذاك، غير أن هذا الوضع لم يستمر طويلا بفضل جهود النقاد الجزائريين عامة، ونقاد جريدة البصائر بصفة خاصة؛ ذلك أنهم استطاعوا أن يضعوا بصمتهم الخاصة في مسار النقد الأدبي الجزائري، من خلال ما تميزت به مقالاتهم النقدية من جدة في الطرح والتحليل، وقد ساعدهم في ذلك انفتاحهم على الثقافات الأخرى، عربية أو غربية، الشيء الذي دفعهم إلى المزج بين الأصالة والمعاصرة في كتاباتهم الأدبية والنقدية، والتي كانت بمثابة الحجر الأساس الذي يقوم عليه النقد الجزائري الحديث.

وهذا ما يلاحظه المتتبع للمحطات التاريخية التي لها علاقة بالجوانب الفكرية والأدبية والنقدية في الجزائر، ومن هنا تأتي أهمية جريدة البصائر في الرقي بالنقد الجزائري الحديث, وبناء على ذلك انتخبنا لهذا البحث مقالات نقدية لنقاد تمرسوا بالكتابة النقدية, وأسهموا في رسم معالم تاريخها الحديث, وقدموا منجزا نقديا مرهونًا بحس التجربة الواقعية بشكل متنام, مزجوه بالوعي بمعالم الشخصية التاريخية التراثية من جهة, وروح الحداثة والمعاصرة من جهة أخرى, وإعادة إنتاج كل ذلك ضمن رؤى تتقاطع وتعيد للنهضة النقدية و الأدبية مكانتها بين غيرها من الآداب والفنون.

فالإشكال المطروح يتمحور حول تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، وأهم المنابر الإعلامية في الجزائر في أوائل القرن العشرين، وإبراز أهم القضايا والاتجاهات النقدية في جريدة البصائر. بحيث يتجه البحث إلى محاولة إبراز هذا الطرح، وإعطاء لمحة حول تلك المقالات النقدية التي سعت لإثراء الساحة النقدية في الجزائر؛ ومن هنا تبرز تساؤلات تطمح إلى تجسيد إشكالية البحث، وهي:

إذا كانت جريدة البصائر قد استطاعت أن تقدم دورا بارزا في دعم مسار النقد الجزائري الحديث، من خلال تلك المقالات النقدية التي تنوعت في اتجاهاتها ومضامينها، فإلى أي مدى استطاع نقاد جريدة البصائر أن ينهضوا بالنقد الجزائري في ظل ذلك الواقع المتأزم؟

وهل لتلك الآراء والخلافات بين النقاد أثر في النهضة النقدية والأدبية في الجزائر؟

وكيف استطاع الكتاب من خلال تلك المقالات النقدية أن يؤثروا في مسار النقد الجزائري الحديث؟

ومن ثم فما هي تلك الرؤى التي آزرت هؤلاء النقاد والأدباء في طرح آرائهم ومواقفهم، وممارسة تجربة النقد من خلال هذه الجريدة؟

ويأتي اختيارنا هذا الموضوع انطلاقا من انشغالنا بمسألة هامة في مسار النقد الجزائري الحديث وهي الدور الذي أدّته هذه الجريدة في إثراء الساحة النقدية في الجزائر ناهيك عن العطاء الأدبي، مما يعني بروز أقلام جديدة وآراء مختلفة في تلك الفترة من نشاط الجريدة ودور هؤلاء النقاد في الارتقاء بالأدب الجزائري ونقده من خلال مختلف الإبداعات والمقالات الأدبية، وإثارة قضايا ومسائل ذات بال في شتى ميادين المعرفة؛ إضافة إلى ما سبق فإن من الأسباب التي دفعتنا لاختيار البحث:

-إدراكنا أهمية هذا الموضوع وقلة إقبال الباحثين على دراسة وتحليل مقالات النقاد الجزائريين في الفترة الحديثة.

-إبراز دور جريدة البصائر في النقد الجزائري الحديث، وإسهامها في خدمة اللغة العربية ودعم الإبداع الأدبي للأقلام الجزائرية.

وقد اقتضت منا طبيعة هذا البحث والتي تتوجه إلى دراسة مسار النقد الجزائري الحديث أن نعتمد على مصادر ومراجع مهمة منها جريدة البصائر التي تعتبر المنبع الرئيس لهذه الدراسة, إضافة إلى كتب أبو القاسم سعد الله خاصة تاريخ الجزائر الثقافي، كونه يرصد الجوانب الفكرية والثقافية للمجتمع الجزائري في الفترة المدروسة, دون أن ننسى الإشارة إلى مرجع النقد الأدبي الجزائري الحديث لعمّار بن زايد. وكل هاته المصادر والمراجع وغيرها كانت لنا عونا في تيسير خطوات هذا البحث.

وفي دراستنا لهذا الموضوع اعتمدنا على المنهج الوصفي بآلية التحليل في الفصل الثاني، موظفين إياه في تحليل تلك المقالات التي كتبها النقاد في جريدة البصائر وطرحوا فيها بعض أهم القضايا الأدبية في النقد الجزائري، كما استعنا بالمنهج التاريخي، لاسيما في الفصل النظري وذلك بتتبع المراحل التاريخية للفترة المدروسة.

لم يكن هذا البحث إلا رغبة منا لتوسيع مجال البحث في موضوع النقد الجزائري الحديث من خلال جريدة البصائر؛ خاصة في فترة كان لها صداها وتأثيرها على النهضة الفكرية والنقدية والأدبية.

واقتضت طبيعة الدراسة التي تدور في محور جريدة البصائر وأثرها على مسار النقد الجزائري الحديث أن يقسم هذا البحث إلى: مقدمة، ثم فصلين، ثم خاتمة.

جاء الفصل الأول: بمثابة الإطار النظري الذي يستند عليه البحث بالحديث عن تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، وأهم المنابر الإعلامية التي ساعدت في بلورة معالم النهضة الفكرية والأدبية في الجزائر، ليقسم هذا الفصل إلى مبحثين، المبحث الأول تمحور حول الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية قبيل صدور الجريدة، والمبحث الثاني تناول أهم المنابر الإعلامية التي أسهمت في الحركة النقدية في الجزائر آنذاك.

أما الفصل الثاني: فخصصناه لرصد تجليات النقد الجزائري الحديث مع تحديد أهم اتجاهاته وقضاياه والبحث عن تلك الآليات التي أغنت الرصيد الفكري لنقاد جريدة البصائر، ودفعتهم إلى الفرادة والتميز وانقسم هذا الفصل بدوره إلى مبحثين: الأول رصدنا فيه قضايا النقد الجزائري الحديث (الالتزام، والتشاؤم والتفاؤل والسرقات الأدبية)؛ والمبحث الثاني تطرقنا فيه إلى الاتجاهات التي تعرض لها نقاد الجريدة (التقليدي، والتجديد، والفني).

واختتمنا البحث بخاتمة تتضمّن ما توصلنا إليه من نتائج, تدور في فلك الإجابة عن إشكالية الموضوع.

راجين من الله أن نوفق في مسعانا هذا الذي لم نقصد من ورائه إلا الإفادة والاستفادة، ولا نزعم لبحثنا الكمال، بل يبقى مجرد خطوة نتمنى أن تُتبع بخطوات.

في الأخير نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف واللجنة المناقشة.

الفصل الأول:

أوضاع الجزائر

وأهم المنابر

قبيل صدور البصائر

المبحث الأول: أوضاع الجزائر قبيل صدور البصائر

أولا: الوضع السياسي:

عرفت الجزائر حركة سياسية شديدة التوتر والاختلاف والتباين، وذلك تبعا للأحداث التي توالت عليها عبر محطاتها التاريخية خاصة في فترة الاحتلال، والمتتبع لهذا التاريخ السياسي سيلحظ مجموعة من التغيرات السياسية المتمثلة في مجموعة القوانين التي كانت تصدرها فرنسا، والتي حاولت من خلالها فرض سيطرتها على المجتمع الجزائري، وإن اختلفت هذه القوانين في مضامينها وطريقة عرضها وتطبيقها؛ مثل: قانون الأهالي، قانون مصادرة الأراضي، قانون التجنيد الإجباري. وغيرها من القوانين التي مارسها الحكام الفرنسيون من أمثال: شارل ديغول والماريشال راندو، وغيرهما.

قد مثلت هذه القوانين تشريعًا قانونيًا يُتيح لهؤلاء الحكام حرية التصرف في الجزائر، سواء من الجانب العسكري أو الإداري، أو حتى الجانب الاجتماعي المدني، وتبعًا لهذه الأحكام السياسية جاءت ردة فعل الشعب الجزائري فردية مثل: مقاومة الأمير خالد، وجماعية مثل: مقاومة الزعاطشة (1848-1849) ومقاومة الأغواط وتقرت (1852م-1854م) وغيرهما والتي باءت بالفشل بسبب عدم التوازن بينها وبين الاحتلال الفرنسي الشيء الذي دفع الشعب الجزائري إلى إعادة النظر في أساليب المقاومة التي دامت لفترة لا تقل عن 50 عاما قدم فيها ثمنا غاليا، حيث هُجِّر أبناؤه وشُرِّدوا وطمس على مقدساته الدينية والعربية.

إن كل هذه الممارسات السياسية دفعت بالجزائريين إلى البحث عن أساليب جديدة للمقاومة, ذلك أنه «ومع بداية مطلع القرن العشرين فكر الشعب الجزائري في تغيير أسلوب كفاحه، وعزم على إيقاف أشكال العنف وتجربة الأساليب السلمية ليأخذ قسطا من الراحة، ويدرس التجارب الماضية، وليستنفد كل الوسائل الممكنة مع الإدارة الفرنسية الاستعمارية، فأخذ إجازة نصف قرن بكامله جرّب خلاله الأساليب السلمية السياسية النضالية»[1].

فقد حاول الشعب الجزائري أن يجد متنفسا جديدا لنفسه لمواجهة الاستعمار الفرنسي في شتى الميادين وخاصة السياسية والعسكرية باعتبارها تشكل الجانب المهم في تسيير أمور المقاومة، والسير بها قدما نحو محاولة الحكم الذاتي والاستقلال التام من خلال مجهودات الأمير خالد، وفرحات عباس، ومصالي لحاج، وغيرهم. ورغم

[1]-الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية، يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت، ص3.

تباين هذه المقاومات في مضامينها، واختلاف أصحابها في الهدف من ورائها، فإن نجاحها أو فشلها كان دائما ذريعة جديدة لاستنهاض همم الجزائريين.

ورغم ما مرّ به هذا الشعب من ويلات وسياسات هيمنة على كل الأصعدة (الثقافية والاجتماعية والسياسية العسكرية) طيلة نصف قرن من الزمن إلا أنه لم يخضع لتلك القوانين الجبرية والأساليب الردعية، بل كان يسعى دائما إلى خلق أساليب جديد في المقاومة. وهذا ما أبان عنه مطلع القرن العشرين، حيث تغيرت الكثير من أساليب المقاومة، وحتى طريقة التفكير في المواجهة، فقد حاول الشعب الجزائري أن يتعامل مع السلطة الفرنسية المحتلة بحذر شديد وتكوين جماعات وهيئات تناقش القضايا الوطنية، والعمل وفق القوانين الفرنسية من أجل تهيئة الجو العام إلى حين مواتاة الفرصة.

ومع تزايد الوعي القومي لدى الشعب الجزائري ونضجه، وأخذه من الدروس والعبر ما فيه كفاية ليتشبع بتلك الروح القومية الوطنية، ويتوحّد تحت مسمى الوطن الواحد، والشعب الواحد، والدين الواحد، واللغة الواحدة بعيدا عن مسمى الجزائر الفرنسية. وفي خضم هذا الوعي المتزايد نجد أن الشعب الجزائري ازداد يقينا بضرورة تفعيل النشاط السياسي أكثر حيث إن «سنة 1908م تعد البداية الحقيقية للنشاط السياسي للجزائريين، نظرا لما شهدته الجزائر من تطورات سياسية هامة على الصعيدين الخارجي والداخلي»[1].

وليس الأمر غريبا أن توصف هذه الفترة بأنها فترة وعي حقيقي للشعب الجزائري، وإن كان هذا لا ينفي حقيقةَ وأهميةَ تلك المقاومات التي سبقت هذه الفترة بكثير, فقد تم في هذه الفترة تأسيس أحزاب سياسية «حيث تأسس خلال هذه السنة[2] أول حزب جزائري قدر له أن يكون قصير العمر هو حزب الجزائر الفتاة، إذ أعلن موافقته على التزامات الخدمة العسكرية المفروضة على الجزائريين مقابل توسيع تمثيل الجزائريين في الجمعيات والمجالس المنتخبة وتطوير التعليم وتوسيعه وإلغاء القوانين الاضطهادية»[3].

من جهة أخرى استعمل الجزائريون الأساليب العسكرية المختلفة، تجسدت في مختلف الثورات التي قام بها الشعب الجزائري آنذاك، وكانت السلاح الذي استطاع من خلاله الشعبُ الجزائري أن يُسمع كلمتَه في الخارج, ويجعل فرنسا خاضعة شيئا ما لإرادته الجماعية، وتسمح له بالمشاركة في الانتخابات والتمثيل النيابي، واستمرت

[1] المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية، خير الدين شترة، دار كردادة، الجزائر، 2013م، ص21.

[2] – المقصود هنا سنة 1908م.

[3] – المرجع نفسه.

هذه الثورات «حتى مطلع القرن العشرين، فكانت ثورة عين التركي عام 1901م. وانتفاضة عين بسام عام 1906م. وثورة بني شقران عام 1914م. وثورة الأوراس عام 1915م»[1].

حيث خلفت هذه الثورات نوعا من الذعر السياسي والعسكري لدى الأوساط الفرنسية، نتج عنها توتر في العلاقات الخارجية والداخلية لفرنسا، حيث بقي البحث عن أسباب هذه الثورات وغيرها محلَّ نزاع لدى الرأي العام الفرنسي والعالمي، مما شكل ضغطا على السياسة الفرنسية خاصة من طرف الناشطين الحقوقيين والمسؤولين الداعمين للقضية الجزائرية، وإن كان دعمًا غير حقيقي بل تشمله مصلحة، من أمثال الكاتب الفرنسي ديكي ورئيس الوزراء الفرنسي والديك روسو.

هكذا نبهت هذه الثورات إلى الواقع المأساوي الذي عاشه الشعب الجزائري من خلال تلك القوانين والمحاكم والسجن, وفي كثير من الأحيان النفي والتقتيل الجماعي عقب هذه الثورات، لكن كل هذا لم يمنع الحركة الوطنية من محاولة تحقيق مسعاها المتمثل في إثبات الشخصية الجزائرية المستقلة عن الشخصية الفرنسية الأوروبية، وإن كانت قد واجهت الكثير من العراقيل، إضافة إلى تلك القوانين الأهلية الظالمة، سياسة الحكام الذين توالَوا على الجزائر وحاولوا أن يخمدوا نار الثورة والثوار, حيث كان من أهم أولئك الحكام: شارل جونار الذي حاول تحقيق أغراضه من خلال سياسة اللين، ومسايرة الأوضاع في الجزائر، بإعطاء بعض الفرص للجزائريين سواء في مجال الانتخابات أو التمثيل النيابي .

لكن لم يلبث هذا الحاكم طويلا حتى ظهرت سياسته على حقيقتها، وخاصة عقب تلك الثورات التي قامت في الجزائر (عين التركي وغيرها) فقد صرح جونار في منشور له بعث به إلى «رؤساء العَمَالات الثلاث بخصوص الأمن في البلاد، وقد أمرهم أن يغلقوا مقاهي الجزائريين المشتبه فيهم، وأن يمنعوا المهرجانات الجزائرية في النواحي المشكوك فيها، وأن يسحبوا كل رخص حمل السلاح، وأن يسجنوا كل جزائري غير موثوق فيه».[2]

وما هذا إلا دليل واضح على تلك السياسة المنتهجة من قبل فرنسا في الجزائر للقضاء على وحدتها الوطنية وإرادتها وعزيمتها الثورية، إضافة إلى هذا فإن الثوار الجزائريين لم يُعْنَوا بمحاربة السياسة والحكام الفرنسيين وحدهم، بل كان عليهم أن يقفوا في وجه العملاء لفرنسا, وخاصة الذين كانوا مع سياسة جونار، والذين استمالتهم سياسة التودد التي اتبعها هذا الحاكم في مرحلة حكمه، وخاصة أصحاب الثقافة الفرنسية، وخرِّيجي المعاهد والمدارس

---

[1]-ينظر عن هذه الثورات كتاب: ثورات الجزائر في القرنين (19-20)، يحي بوعزيز، الجزائر، دار البعث، 1980م، ص15-42.

[2]-الحركة الوطنية, أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, ط4, 1992, 2/ 98.

الفرنسية، الذين تمكنت فرنسا من تطويعهم وجعله من الموالين لها، حتى إننا لنرى الواحد منهم يمدح حاكما، أو قائدًا فرنسيا.

وهذا ما قام به قاضي تلمسان شعيب بن علي في مدحه للحاكم جونار حيث قال :

لا ينثني عن رأيه ، أو عزمه في حكمه ليث الثرى (جونارُ)
(جونار) ذاك الشهم من به ارتقت جزائر وسما لها المقدارُ
ذاك المرفع في المحافل قدره ذاك السميذع والفتى العمارُ
ذاك الذي يرى الكمال فيما يرى أهل الشورى من حزبه الأحرارُ
أكرم به من والي أرض مد غدا قطبا عليها حكمه يدارُ[1]

وما يمكن أن نلاحظه على هذه الأبيات، زيادة على ما فيها من خلل في الوزن، واضطراب في اللغة, هي أن علي شعيب حاول فيها أن يُظهر ولاءه للحاكم جونار الذي لم تكن سياسته في حقيقتها إلا أسلوب سياسي للسيطرة على تلك الثورات التي قام بها الشعب الجزائري في تلك الفترة.

فهذا الحاكم في حقيقته لم يكن مخلصا لا للإسلام ولا للجزائر. ولا بزعيم الديمقراطية كما حاول أن يصفه أتباعه من أمثال "شعيب بن علي" قاضي تلمسان ...يوم قام يطري ((جونار)) بتلك الأبيات التي أسرعت السلطات الفرنسية إلى جمعها ونشرها «فنشرتها في طبعة خاصة في باريس سنة 1908، على أنها ليست من الشعر في شيء أسلوبا ومضمونا واضطرابا في الوزن».[2]

هكذا نرى أن سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر زاوجت في أسلوبها بين سياسة العنف والتسلط من جهة، ومن جهة أخرى استعملت سياسة لين وتلطف للوصول إلى غاياتها، مما نجم عنه وضع اجتماعي متذبذب.

---

[1]- المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، صالح خرفي, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1983, ص19(وقد أوردنا الأبيات على علاتها كما هي في المرجع).

[2]- رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، محمد الهادي بوطارن، ط1، 2007م، الملكية للطباعة والنشر والتوزيع، الحراش، ص14.

ثانيا: الوضع الاجتماعي:

لقد اجتاحت فرنسا الجزائر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، وبرزت نواياها منذ البداية، من خلال تلك القوانين الأهلية والمحاكم الردعية. كل هذا كان له تأثير بشكل أو بآخر على المجتمع الجزائري، فلم تفرق بين كبير ولا صغير، ولا بين رجالا ولا نساء، حيث «كانت هناك خطة عسكرية واضحة ينفذها جيش الغزو بشن حرب متطرفة، وذات طابع وحشي شاذ. ولم يعد الأمر مقتصرًا على أعمال عسكرية في أيام محدودة، وإنما أصبحت الجزائر كلها مسرحا غارقا بالدماء، تشتعل فيه النار باستمرار، ولم تميز قوات الغزو بين الأشخاص والممتلكات، فالحرائق والسرقات والتخريب تختلط بالقتل والتعذيب».[1]

كل هذا خلّف نوعا من الرعب في نفوس الجزائريين، كما خلق نوعا من التردد تارة، والتصميم تارة أخرى في أساليب فرنسا، ظهر ذلك من خلال بعض القوانين التي كانت فرنسا تصدرها بين الحين والآخر، كلما شعرت بغضب الشعب الجزائري يجتاح الشوارع أو المنابر الإعلامية الداخلية والخارجية,كإعطاء الجزائريين الحق في الانتخاب والتمثيل السياسي.

إن السياسة الفرنسية في الجزائر كانت تتسم بنوع من القسوة منذ بدايتها الأولى، وهذا ما جاء في الكلام الذي عبر عن استنكار اللجنة الإفريقية لأعمال الجيش الفرنسي حيث تقول: «لقد حطمنا ممتلكات المؤسسة الدينية. وجردنا السكان الذين وعدناهم بالاحترام، وأخذنا الممتلكات الخاصة بدون أي تعويض ... وذبحنا أناسا كانوا يحملون عهد الأمان ...وحاكمنا رجالا يتمتعون بسمعة القديسين في بلادهم ... لأنهم كانوا شجعانا لدرجة أنهم صارحونا بحالة مواطنيهم المنكوبين».[2]

وعلى الرغم من هذا التصريح الذي جاء إلى فرنسا من قِبَل أبنائها على أن السلطة العسكرية والسياسية الفرنسية تنكّل بالشعب الجزائري. وبممتلكاته المادية والمعنوية، وتسلط هيمنتها على الدين ورجاله، إلا أن الوضع ظل على حاله. وليس غريبا أن يظهر الشعب الجزائري بمظهر الفقر والتشرد والبؤس، وأن يعاني من ويلات الأمراض الاجتماعية الفتاكة والتخلف والجهل، خاصة في وسط يُضيَّق فيه على المدارس القرآنية، وتُحوَّل المساجد أحيانا إلى كنائس، كمحاولة للقضاء على أسس المجتمع الدينية أو الاجتماعية, وكان الشباب الجزائريون هم المستهدفون بالدرجة الأولى.

---

[1]- المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي، بسام العسلي، دار النفائس، بيروت، لبنان، طبعة خاصة، 1431هـ- 2010م، دار الرائد، الينابيع، الجزائر، ص148.

[2]- الحركة الوطنية، ص20.

فما كان من رجال الدين والإصلاح إلا محاولة التصدي لهذا المسخ الديني، رافضين له بكل الوسائل المتاحة أمامهم، إما عن طريق الدعوة الصريحة في المساجد، أو بالكتابة وغير ذلك. فها هو محمد البشير الإبراهيمي يعبر عن هذه المأساة بقوله: «جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن...قد أدار قوانينه على نسخ الأحكام الإسلامية، وعبث بحرمة المعابد، وحارب الإيمان بالإلحاد، والفضائل بحماية الرذائل، والتعليم بإنشاء الأمية، والبيان العربي بهذه البلبلة التي لا يستقيم معها تعبير ولا تفكير».[1]

فأصبحت الجزائر تعيش حالة اجتماعية متدهورة نتيجة لذلك، مما جعل الفرد الجزائري يعيش حالة من الذهول والانتكاسة، خاصة في تلك الظروف الصعبة التي كانت فرنسا في كل مرة تحاول أن تخلقها لتحد من النشاط الفردي أو الجماعي للمواطنين.

وفي مقابل هذا نجد أن الشعب الجزائري قابل هذه القوانين بنوع من الحدة والرفض، وهذا ما عبر عنه أحد المسلمين الجزائريين في رسالة كتبها إلى الحاكم العام الفرنسي حاول من خلالها أن ينقل له معاناة الفرد الجزائري وصموده، حين قال: «إننا نفضل أن نُحرق نحن وأطفالنا على أن نصير فرنسيين».[2]

وهذا دليل واضح على موقف الجزائريين من سياسة الإدماج التي سعت فرنسا إلى تطبيقها على الجزائر باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من فرنسا.

و ليس غريبا أن يرفض المواطن الجزائري الجنسية الفرنسية التي تحاول الحكومة الفرنسية من خلالها أن تطمس الشخصية الجزائرية, وكثيرا ما حذر الحكام الفرنسيون من أمثال الجنرال شانزي من عدم التعقل في معاملة الشعب الجزائري، ودعا إلى عدم التمادي في سياسة السطو على ممتلكات الجزائريين، و«حذر السكان الأوروبيين من غضب وثورة أبناء البلد الأصليين، إذ أنه طلب منهم أن لا يتوسعوا في احتلال أراضي الجزائريين، وقرر أن يعمل على احتفاظ كل فرد بحقه في الملكية حتى لا يتذمر الناس ويثوروا ويخلقوا الفوضى»[3].

فهذا الخوف من غضب الجزائريين جعل الحكام الفرنسيين يغيرون من أساليب التعامل مع الجزائريين خاصة عقب تلك الثورات التي عرفتها الجزائر (ثورة عين الترك وغيرها) وهذا لامتصاص غضب المجتمع الجزائري.

لقد ورثت الجزائر وضعا اجتماعيا كارثيا جاء كنتيجة حتمية للاحتلال الاستيطاني الطويل الذي كان يمارس مختلف السياسات الاضطهادية في تلك الفترة، حيث خلفت هذه السياسات سمات أساسية من أهمها البطالة

[1]- من الحقائق العريانة، محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، ع1، (25/ 7/ 1947م)، ص2.

[2]- التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، عمار بوحوش، دار الغرب الإسلامي,بيروت, ط1, 1997، ص201.

[3]- المرجع نفسه، ص201.

والتشرد والهجرة الجماعية أو الفردية، مما دفع إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية في الجزائر في خضم تلك الصراعات المشحونة بالغضب والثورة.

وباعتبار الشباب هو الفئة الأكثر فاعلية في المجتمع، وهو الدافع الأول لقيام الثورات المختلفة، والتنظيم السياسي لمختلف التظاهرات الإعلامية والميدانية التي كانت تقف في وجه الاستيطان الفرنسي، فتوجهت فرنسا مباشرة مع مطلع القرن العشرين إلى اتخاذ إجراءات جديدة وسياسات همجية، إضافة إلى ذلك الفراغ النفسي الذي كان يحكم حياة المجتمع آنذاك، حيث «يعتبر مطلع القرن العشرين بدايةً لاستقلال السلطات الاستعمارية الجزائر[1]، إداريا وماليا، عن فرنسا. فأخذت تمارس بقسوة سياسة القوة والزجر ضد الأهالي، وتلاحقهم في كل مجالات الحياة، وتغلق عليهم كل الأبواب والسبل إلى الحياة الأفضل، فحرمتهم من الاشتراك في المجالس الإقليمية، ومن انتخاب نواب لهم في البرلمان الفرنسي حتى المتجنسين منهم»[2]

هكذا استمرت الحكومة الفرنسية في ممارسة سلطتها التعسفية على الفرد الجزائري، وذلك من خلال الوقوف في وجه كل ممارساته السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية. مما أدى إلى زيادة الوضع توترا واضطرابا بين الحكومة الفرنسية والشعب الجزائري، ومما زاد الوضع تأزما هو ذلك القانون الذي أصدرته فرنسا عام 1912م، والذي يقضي بضرورة تجنيد الشباب الجزائري، بما فيه من ظلم وتعسف.

حيث «نص قرار التجنيد الإجباري بأن يُجند الشباب الجزائري في سن الثامنة عشر، ويتقاضى أجرا شهريا على خدمته، بينما الشباب الأوروبي يُجند في سن الواحد والعشرين. ولا يتقاضى أجرا عن خدمته، فهو وطني صميم والجزائري المسلم مرتزق»[3]. وهو ما وصفه الكاتب يحي بوعزيز بالحَيف والظلم الاجتماعي. فكما نلاحظ أن هذا القانون يعتبر مكملا لسياسة فرنسا في محاولة منها للسيطرة على الفرد الجزائري، وإبعاده عن تلك التنظيمات السياسية، والثورات الشعبية التي كانت تحدث في الجزائر، لتخلق لنفسها متنفسا، لاسترجاع مكانتها الدولية والعالمية.

ولم يقف المجتمع الجزائري أمام هذه القوانين متفرجا بل اختلفت الآراء بين مؤيد من أمثال أصحاب الثقافة الغربية الفرنسية؛ ومعارض مثل أصحاب الثقافة الأصلية وهم معظم الجزائريين، ذلك أنه لا يحق لفرنسا أن تخضع

---

[1] – هكذا في المرجع.

[2] – سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005م، ص43، 44.

[3] – الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص15.

الشباب الجزائري لحكم إرادتها، وأن تجعله وسيلة من وسائل الدفاع عن نفسها. ولا غرابة في أن تستعمل فرنسا مثل هذه السياسات الردعية ذلك أنه في سنة 1903م كانت هناك محاكم خاصة بالجزائريين تخضعهم من خلالها إلى أحكامها الزجرية التعسفية، وليس ببعيد عليها أن تخضعهم لسياستها العسكرية المسلحة، ذلك أنه ومع بداية الحرب العالمية الأولى كانت فرنسا قد نجحت في فرض سياسة التجنيد الإجباري، وكان الشباب الجزائري حاضرا في صفوف الجيش الفرنسي ضد ألمانيا.

إن هذه «الظروف التي صدر فيها مرسوم 3 فبراير 1912م، والذي يقضي بفرض الخدمة العسكرية الإجبارية على الأهالي الجزائريين قد أثارت استياء شديدا في كل مناطق الجزائر، وهو استياء قد يستمر إذا لم يتم تبديد سوء التفاهم الذي تولد في أقرب الآجال».[1]

لكن إذا ما لاحظنا من جانب آخر، أي إلى الجانب الايجابي لهذه المشاركة (المشاركة في الحرب العالمية الأولى) فإننا ندرك أنها خاصة على المستوى الفردي أعطت للشباب الجزائريين فرصة في تطوير أفكارهم وتفتح الذهنيات، ورفعت من مستواهم، واكتساب خبرات جديدة في التنظيم للمقاومة المسلحة، مما أعطى للمجتمع الجزائري دافعا للهجرة، والاحتكاك بالمجتمعات الأخرى، حيث أدرك من خلال هذه التجربة (المشاركة في الحرب العالمية الأولى) أنه متأخر ومتخلف عن الركب الحضاري الذي عرفته البلاد الأخرى.

أدرك الشعب تخلّفه خاصة وأنه كان يعيش حالة من الاضطراب النفسي والفكري في وسط تلك التناقضات السياسية والاجتماعية والدينية وحتى الثقافية، وبدؤوا يدركون قيمة العلم والعمل، واسترجعوا كرامتهم من خلال وعيهم بما يحيط بهم من أحداث وتطورات في العالم من حولهم «وأخيرا تحققوا أنه لا يمكن أن تقوم أية حركة وطنية في أرض الوطن، لأن السياسة الاستعمارية لا تسمح بأي نشاط لا يكون في صالحها وبأيدي عملائها. ولا يتعدى المسخ المقنع أو الساحر، وجاء نفي الأمير خالد وانفضاض أصحابه عنه أكبر درس لهم»[2].

فما كان منهم إلا أن يرتحلوا بحثا عن سياسة أخرى لمواجهة الاستعمار، ومعرفة أساليب جديدة لمقاومته, ذلك أنه وبعد الحرب العالمية الأولى اكتسب الشعب الجزائري نوعا من الحرية الذاتية. فهاجروا إلى تونس التي ألّفوا بها ما يُعرف باسم هيئة تحرير شمال إفريقيا مع إخوانهم التونسيين من أمثال عبد العزيز جاويش.

---

[1]- نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، جمال قنان، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009م، د.ط، ص283.

[2]- الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939، محمد قنانش، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص27، 28.

واستمر هذا النشاط السياسي إلى حوالي سنة 1910م إذ «أسس الشيخان صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي (1853-1918م) "جمعية الإخوة الجزائرية التونسية" في اسطنبول، وكان لها فرع في دمشق ينشط بين المهاجرين الذين كان أغلبهم من الجزائر، ولها فروع في بلاد الشام والحجاز ولاسيما فرع المدينة المنورة»[1].

ولم يقتصر نشاط الجزائريين عند هذا الحد بل إنهم شاركوا أيضا في الاتحاد المغاربي بمصر بأمر من الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد. وتوسع نشاطهم أكثر ليمتد إلى جنيف وباريس وبرلين والحجاز والأستانة واسطنبول التي أسست بها جمعية الشرفاء سنة 1913م، يترأسها الشيخ المكي بن عزوز الجزائري، والتي كان من أهم أهدافها إثارة مناطق في إفريقيا الشمالية من مثل الجزائر وتونس وليبيا.[2]

ولقد كان للتعاون المغاربي (المغرب-الجزائر-تونس) دور كبير في تحقيق الاستقلال، ذلك أنه كان يجمعهم مستعمر واحد، وضعية اجتماعية واحدة. فتبلورُ الوعي الجماعي عندهم كوّن لهم نوعًا من الحرية، على الأقل في تلك الظروف الصعبة التي كانت تتطلب التعاون المغاربي أكثر من ذي قبل, خاصة وأن الظروف التاريخية المشتركة بينهم هي ما يتطلب هذا التعاون الذي يمكّنهم من تحقيق الاستقلال.

فهذا التعاون بين مختلف فئات البلاد المغاربية ساعد على بلورة الوعي الجماعي في التصدي للسلطة الاستعمارية وسياساتها المختلفة وذلك من خلال الاستفادة من المهاجرين الذين هاجروا إلى الخارج وامتلكوا خبرة جديدة وفكرا جديدا سواء من الجزائريين أو التونسيين أو غيرهم.

إضافة إلى هذا نجد أن الوضع في الجزائر ساهم في التمهيد لهذا التحرر والاستقلال، حيث يظهر ذلك من خلال موقف بعض الفرنسيين الذي ظهر عندهم نوع من العاطفة اتجاه الوضع الاجتماعي المتدهور في الجزائر ومن أبرز هؤلاء الحاكم"موريس فيوليت" الذي حكم فرنسا سنة 1927م، والذي أبدى بكل صراحة تعاطُفَهُ مع الجزائريين، واتهم فرنسا بشكل مباشر بتجهيل وتفقير الشعب الجزائري من خلال سياساتها المختلفة: فرض الضرائب، ومصادرة الأراضي، والسجون والمحاكم الزجرية.

فقد ظل الجزائريون محرومين «من حرية التفكير والاجتماع والصحافة والمساواة التي امتاز بها الأجنبي عنهم ولأنهم حُرموا حق النيابة الحرة، ولأن "الأنديجينا" خنقت أنفاسهم. أجل، الجزائريون متأخرون لأنهم حرموا لا من حقوقهم فقط، بل من العيش الطليق الطبيعي لكل دابة على وجه الأرض»[3].

---

[1]- قضايا تاريخية في الإسهام الفكري والحضاري للنخب الجزائرية في المهجر وأبحاث في قضايا فكرية معاصرة، خير الدين شترة، دار الصديق للنشر والتوزيع، 2015م، الجزائر, 1/ 124.

[2]- ينظر: المرجع السابق, ص126.

[3]- رمضان حمود، نقلا عن: مجلة وادي ميزاب، ص29.

حيث حاول أن يفضح سياسة فرنسا داخل الجزائر، وأن يكشف عن حقيقة الوضع الاجتماعي والثقافي المتدهور، بل وحتى الصحي الذي خلفته فرنسا، معتمدا في ذلك على المذكرات والتقارير العسكرية التي وردت من قِبَل بعض المختصين الفرنسيين، كذلك كان هناك بعض المثقفين الذين حاولوا أن يدافعوا عن الجزائريين، وعن حقوقهم في حرية التفكير والحياة، ومن هؤلاء: سان سيمون، وبرادون، وكل هذا أسهم في نوع من التحرر والحراك السياسي والاجتماعي والثقافي، الذي بدوره ساهم في خلق نوع من الوعي لدى الأدباء والنقاد خاصة والفئة المثقفة عامة، وحاولوا أن يعبروا عن ذلك التشاؤم الذي كان يطغى على المجتمع الجزائري، والذي يقف منه الأدباء موقفين متمايزين: فريق أطلقت لسانه فأخذ يعبر عن آلامه وآماله التي يعيشها, وفريق آخر حطمته فأسكتته. هكذا كان الأدباء يتأثرون بهذه المأساة وتؤثر فيهم بشكل أو بآخر فتفاعلوا معها, وعبروا عنها بإحساسهم النابع من صميم هذه المعاناة.

وأمام هذه المأساة التي كان يعاني منها الأديب الجزائري، والتي حاول أن يعبر عنها بقلمه، وأمام مطاردة المحتل لهم، وتضييق سبيل العيش أمامهم, والقضاء على المساجد والمدارس، وحرق وتدمير لكل المرافق العلمية إضافة إلى التمزق النفسي، كل هذا يظهر لنا من خلال قول محمد سعيد الزاهري الذي صور حالة الفرد الجزائري وما يعانيه من ويلات الجهالة والفقر والظلم، مبرزا أثر ذلك على نفسية الأديب عامة من خلال وصفه لنفسه فيقول: «تذهب نفسي عليه حسرات. إنّه ليكاد يقضي عليَّ الكمد ويقتلني الأسى إذا أنا تذّكرت ما كان لوطني من العِزَّة والشَّرف، وما كان له من السيادة على الفرنجة ثم أراه صار بعد ذلك كلّه إلى الذلّ والهوان»[1].

هذا الواقع الذي لامسته نفوس الأدباء وجسدوه في كتاباتهم النثرية والشعرية، وإن كانت هذه المأساة بكل مساوئها خلفت لنا نوعا من الأدب الجزائري متميزا عن غيره، بما حواه من فنية ممزوجة بألم الوطن، مجسدا تلك المأساة والتطلعات والألم والأمل الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري، حيث أعطت هذه الحالة الاجتماعية للأدب نوعا من السمات والخصائص التي جعلته المرحلة الفاصلة بين الأدب الجزائري الحديث والقديم.

ذلك أنه في المرحلة قبيل الحرب العالمية الأولى وبعدها أصبح الأدب الجزائري الحديث يعرف نوعا من التغيير في الموضوعات والمضامين، إذْ عبر عن الشخصية الجزائرية التي «لم تلبث أن جعلت ملامحها تظهر من جديد, في خفوت وضعف، ثم أخذت هذه الملامح تتضح وتبرز وتستعلن شيئا فشيئا, حتى عاد لهذه الشخصية كيانها

[1]– شعراء الجزائر في العصر الحاضر، محمد الهادي الزاهري السنوسي، إعداد وتقديم: عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2007، ص33.

كاملا، وأصبحت القومية الجزائرية حقيقة ماثلة, تفرض نفسها، وتجاهد دون كيانها، وتقاوم القيود المفروضة عليها, حتى تم لها النصر, وأصبح أمرها إليها»[1].

وهذا ما عبر عنه الأدباء في مواقف مختلفة سواء تلك النصوص الإبداعية الأدبية الفصيحة، أو حتى الأعمال الأدبية الشعبية التي نقلت لنا جانبًا من الواقع الجزائري آنذاك، وإيمانَ الأدباء برسالتهم التي يحملونها، وأنها سبيلٌ إلى الخلاص من قيود الاحتلال الفرنسي، واسترجاع الشخصية الجزائرية الإسلامية العربية.

وفي هذا يقول رمضان حمود: «من الجنون بل من المحال محاولة إطفاء جذوة الوطنية الملتهبة في أمة دب في شرايينها روح التضامن والحياة النّضرة وشعرت بما لها وما عليها، فالحياة معنى كامن في النفوس، وما استمد قوته من الروح، فمن العبث القضاء عليه مادام ذلك المحرك موجودا»[2].

وبهذا استطاع المجتمع الجزائري أن يواجه سياسة القهر والظلم الفرنسي، بشيء من الصمود والمواجهة. هذه المواجهة التي آثرت فنون الحياة المختلفة عامة والأدب خاصة، فنقل لنا صورة واقعية عن تلك الفترة, كل هذه السياسات نجم عنها وضع ثقافي متأرجح بين الإيجاب والسلب.

ثالثا: الوضع الثقافي:

إن الحملة الفرنسية على الجزائر كانت حملة صليبية تهدف إلى القضاء على المقومات الفكرية والشخصية والدينية للشعب الجزائري، وهذا يظهر من خلال عدد المبشرين الذين كانوا يرافقون هذه الحملة وسياستها التي استهدفت المؤسسات الإسلامية و الثقافية: مثل تدمير المساجد والمدارس القرآنية وتحويلها إلى ثكنات عسكرية ومحاربة التعليم والثقافة العربية في الجزائر وذلك من خلال متابعة الفئة المثقفة في المجتمع ومكافحتها عن طريق القتل أو السجن أو النفي.

ويظهر ذلك جليا في قول المبشر المسيحي في الجزائر الكاردينال لافيجري «علينا أن نخلّص هذا الشعب ونحرره من قرآنه، وعلينا أن نُعنى على الأقل بالأطفال لننشئهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء، بعيدين عن العالم المتحضر»[3].

---

[1]- جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر, محمد طه الحاجري, المطبعة الفنية الحديثة, ص19.

[2]- سوانح وخواطر في الاجتماع، رمضان حمود، الشهاب، ع99، (1927/06/2), ص1127.

[3]- المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، صالح خرفي، ص49.

ذلك أن فرنسا اقتنعت أن احتلال الشعب الجزائري لن يكون عن طريق الإبادة الجماعية، أو المحتشدات أو تجنيدهم في الحروب فقط، بل راحت تمارس أساليب أشد خطورة من خلال استدعاء مبشرين مسيحيين للجزائر، الذين مكنتهم من كافة الوسائل والحرية لتنصير أبناء الشعب الجزائري؛ من خلال تشجيع البدع والخرافات.

ولا غرابة أن تصبح الحياة الفكرية والثقافية والدينية في الجزائر تتسم بنوع من الاسوداد والظلام وسط سياسة الاستعمار الزجرية من جهة، وانسلاخ أبنائها عن عقيدتهم ومحاولة طمسها وتدنيسها وتحريفها خدمة لأغراضهم الشخصية، أو لترضى فرنسا عنهم من جهة أخر. «وأصبح شيخ الطريقة أو المرابط في كثير من النواحي يتصف بأوصاف الربوبية، فهو الذي يعطي وهو الذي يمنع، وهو الذي يقبض وهو الذي يبسط. هو منبع كل خير ومصدر كل شر؛...، وتفشت إثر ذلك بدع وأباطيل لا تشوه وجه الإسلام السمح وحده، بل تسوّد وجه البشرية برمتها»[1].

ومن هنا وجد الشعب الجزائري نفسه أمام وضعية ثقافية ودينية كارثية, حاول أن يتصدى لها ويخلق نوعا من التحرر الفكري من هذه السلطة، وإن كان هذا التطور بقي في نطاق محدود وضيق نوعا ما نظرًا للظروف المحيطة به.

وأدى رجال الإصلاح دورا بارزا في تلك الفترة الغاصبة للتصدي لتلك الحملات الصليبية، وذلك التنصير الذي طال الجزائر، سواء من الحكام الفرنسيين أو من النخبة المثقفة الموالين لها؛ ومن أبرز رجال الإصلاح الشيخان عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي.

هذا الأخير الذي وقف في وجه الاحتلال الفرنسي ومن والاه من أمثال دعاة الإدماج, الذين رد عليهم بقوله: «أنتم لا تمثلوننا... نحن أيضا بحثنا في التاريخ وفي الحاضر ووجدنا أن الأمة الجزائرية المسلمة تشكلت ووجدت مثلها مثل كل أمم الأرض، إن لهذه الأمة تاريخها ومآثرها، وتتمتع بوحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها وتقاليدها. ونقول بعد ذلك أن هذه الأمة الجزائرية ليست فرنسا ولا تريد أن تصبح فرنسا»[2].

وهكذا حاول الشعب الجزائري بكل فئاته التصدي لذلك الغزو الديني، وتلك القوانين التي كانت تجرد المسلمين من دينهم وهويتهم الإسلامية، مؤكدين أن الجزائر أمة لها تاريخها وجذورها العربية، لها ما يميزها عن غيرها من عادات وتقاليد ودين يعتد به.

---

[1]- كتاب الجزائر, أحمد توفيق المدني, المطبعة العصرية, د.ط, د.ت, ص376.

[2]- الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830-1962، جمال حرشي، ترجمة: عبد السلام عزيزي، إشراف ومراجعة: مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م. ص426.

وإن كانت فرنسا قد سعت بكل أساليبها إلى طمس الهوية الجزائرية, بداية من التعليم الذي حاولت فرنسته؛ بموجب القرار الذي أصدرته الحكومة الفرنسية بتاريخ 13/ 02/ 1883؛ والذي تم من خلاله إنشاء مدارس خاصة بأبناء المستوطنين, وأخرى خاصة بالأهالي الجزائريين, وفي كلتا الحالتين يتم التدريس باللغة الفرنسية بل وأكثر من ذلك أجبرت الأهالي على دفع غرامات مالية من أجل تعليم أبنائهم، ليدفعهم العوز والفقر مرة أخرى إلى الخضوع لسياسة فرنسا، فعمل الكثير منهم خمّاسا في الأرض، وغيرها من الأعمال، وذلك بعد مصادرة أراضيهم وممتلكاتهم.

فوجد الشعب الجزائري نفسه مجبرا على التثقف باللغة الفرنسية رغما عنه, غير أن الهدف من كل هذه السياسة هو: «تهميش اللغة العربية وإبعادها تماما من البرامج المدرسية في كل مراحل التعليم، وكذلك إمكانية فرنسة أطفال الجزائر بهذه السياسة، كما أنه بموجب هذه السياسة أصبحت اللغة العربية بالنسبة لأبناء الجزائريين لغة ثانوية، في حين كانت بالنسبة لأبناء المستوطنين مجهولة تماما»[1].

وبما أن فرنسا كانت تسعى إلى إيجاد جيل جديد يؤمن بمبادئها, ويتكلم بلغتها، ويعملون على نشر تعاليم المسيحية، فإنها كانت حريصة على تثقيفهم، ومدّ يد العون لهم في كل مجال، لتنال من بعض المثقفين الذين لم يتوانوا في الدعوة إلى فَرْنسة المجتمع الجزائري.

وأمام هذا المنعرج الخطير الذي حاول الاحتلال الفرنسي فيه القضاء على الهوية الإسلامية عن طريق توسيع نفوذ المبشرين المسيحيين في الأراضي الجزائرية، وإصدار قوانين تنصّ على وجوب تنظيم الشعائر الدينية للمسلمين وخاصة الحج، إذْ «فرضت رقابة على أداء فريضة الحج، وحددته برخصة قلما يحصل عليها الراغب في ذلك، إلا بتدخل شخص، أو البرلمان نفسه، كما حصل عام 1913م وذلك من أجل إحكام عزلة الجزائر وشعبها عن العالم الإسلامي»[2].

ولم تكتف فرنسا بهذه السياسة بل جعلت من بعض رجال الدين خدما لها، وذلك من خلال مراقبة عملهم في الزوايا، ومرافقتهم للشرطة العسكرية، وإلغاء بعض الخطب التي لا تخدم المصالح الفرنسية، فكانت تحبط كل مجريات الأحداث الدينية والتربوية والأخلاقية التي تتعلق بالإسلام وتدريس تعاليمه، خوفا من استمرار السلطة

[1]- سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930 وانعكاساتها على المغرب العربي، بوضرساية بوعزة، أحمد ماضي، دار الحكمة، الجزائر, 2010م، ص130.

[2]- سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م، يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م، ص41.

الإسلامية وتأثيرها في نفوس الأهالي الجزائريين, وحرصا منها على نشر تعاليم المسيحية، وإخضاع السكان لهذه التعاليم حتى تتمكن من فرض سيطرتها لمدة أطول من الزمن.

ولا عجب أن تتخذ فرنسا إجراءات صارمة فيما يخص ممارسة المسلمين لشعائرهم الدينية, وتضييق سبل هده الممارسة؛ فراحت تزيد من عدد الكنائس والرهبان والمبشرين، فظهر ما يعرف باسم الآباء البيض وأخوات العناية الإلهية، وبلغ عدد الكنائس ما يزيد عن 121 كنيسة، و133 مركزا تبشيريا، و500 راهب وراهبة، في سنة 1882م.

ذلك أنه «ابتداء من سنة 1871م كشفت الجمعيات الدينية المسيحية عن تنصير الأطفال الجزائريين وبعض الأهالي، حيث تكفلت جمعية أخوات العناية الإلهية المسيحية (دوريبوفيل)، بالمدارس والملاجئ في كل من برج منايل، وتيزي وزو، قامت جمعية سان جوزيف دوسان جون دوموريان بفتح مدرسة دينية حرة بمدينة قوراية قرب شرشال»[1].

والهدف من كل هذا هو محاولة زعزعة تعاليم الدين الإسلامي, وجعل الجزائريين فرنسيين فكرا وعقيدة إضافة إلى الأساليب السابقة فإنها قامت بتدشين عدة مساجد من أشهرها مسجد شرشال الذي كان من أشد الوسائل التي استعملتها فرنسا في التأثير على الجزائريين, خاصة تلك الخطب التي كانت تلقى فيه، والتي كان موضوعها يدور غالبا حول فضائل فرنسا على الشعب الجزائري، ووجوب شكرها على هذه النعم التي لا تزال تغدق بها عليهم. ومن أشهر هذه الخطب خطبة الشيخ دواجي عبد القادر الذي كان مدرسا وخطيبا للدولة الفرنسية، وداعما لسياستها التنصيرية التبشيرية، وهو يقول مثلاً في إحدى خطبه: «واعلموا أن هذه الدولة رحمة من الرحمن تحث على نشر العلوم وإصلاح ما فسد، وقمع أهل البهتان، فلا يمكننا أن نتجاسر، فنلقي العداوة في قلوب حكومتنا، بل نبذل جهدنا في الطاعة والشكر لها لمنافعها العظيمة»[2].

فتمادي السلطة الفرنسية في سياستها التنصيرية اتجاه الشعب الجزائري ليس بغريب، مادامت تستخدم هؤلاء الأشخاص الذين يمثلون الشريعة الإسلامية، ولأنهم في نظر الناس يمثلون السلطة العليا للدين الإسلامي، ولأنهم الداعين إلى سبيل الله بالموعظة الحسنة؛ وقد حيث استطاعت من خلالهم أن تستميل قلوب وعقول بعض الجزائريين, لتتمكن من خلالهم زيادة بسط نفوذها التنصيري والتوسع في دعوتها التبشيرية، وتسهيل عمل القساوسة وفتح المجال أمام سلطتها الاستعمارية التي تهدف إلى جعل الجزائر أرضا فرنسية.

[1]- سياسة فرنسا البربرية في الجزائر، ص145.
[2]- المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، ص54.

كل هذه الظروف وغيرها جعلت من المجتمع الجزائري في مطلع القرن العشرين متأرجحا «بين الضعف والقوة... مجتمع يحكمه قانون التبعية الأهلية، مجتمع مفتقر مكوّن من مدن، ثكنات تراقب أريافا، مجتمع منزوع الثقافة بفعل هدم وإخضاع الأجهزة الثقافية من قبل الاستعمار»[1].

ورغم كل هذه الظروف التي عرفها المجتمع الجزائري إلا أنه ظل محافظا على هويته العربية الإسلامية. متمتعا بشخصيته الجزائرية, واستطاع أن يحافظ على دور الزوايا والكتاتيب والمساجد التي حاولت فرنسا أن تستخدمها ضدهم، لكن لعبت دورها الأساسي في تقوية الروح الوطنية الإسلامية من خلال العلماء ورجال الدين الذين حملوا على عاتقهم خدمة هذا المجتمع والمحافظة على مقوماته الدينية والوطنية.

وكان لهؤلاء العلماء دورا بارزا في إثارة عقول الشعب الجزائري للتصدي لتلك العقبات التنصيرية المسيحية، وفي إيمانه بذاته, وتعزيز ثقته بنفسه, وأنه قادر على مواجهة هذه السياسة الاستعمارية مؤكدين على ضرورة استنهاض همم الشعب من أجل تأكيد «أن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج، ولها وطن محدد معين هو الوطن الجزائري»[2].

واستطاع أئمة الزوايا أن يسترجعوا دورها ومكانتها التي كان لها الحظ الكبير في توعية الشعب الجزائري سواء من خلال الدروس التي كان يلقيها المشايخ فيها، أو من خلال الرسائل والكتابات التي كانت تنشر هنا وهناك، في المجلات والجرائد المختلفة، وارتقت أساليب المواجهة من ناحية إقامة ندوات علمية تربوية تثقيفية.

كما ساعدتهم هجرتهم إلى البلاد العربية أو الغربية في تفتح الذهنيات على عوالم جديدة، وما يشهده من تطور في ميدان العلم والأدب، واستطاعوا من خلال دراستهم في المدارس والمعاهد والجامعات سواء العربية مثل تونس والمغرب ومصر, أو الغربية مثل باريس وألمانيا, أن يؤدو دورا هاما ومميزا في الحياة الثقافية بالجزائر؛ وإن كان هذا الدور في بدايته كان ضئيلا نوعا ما.

فالمدارس العربية في تلك الفترة كان لها أثر بارز في حياة المجتمع «لأنها أخرجت في قطر الجزائر طبقة من القضاة والوكلاء لا يستهان بها، وإن لم تكن لهم معارف الأسلاف وتوسعهم في العلم والتحقيق، فإن لهم ملكة عربية إسلامية طيبة، ولهم من الأفكار الصحيحة ما يجعلهم في طليعة المتنورين بالقطر الجزائري»[3]. إذ استطاعت

---

[1]- إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1930, خير الدين شترة, دار البصائر للنشر والتوزيع, الجزائر, 2009, ص47.

[2]- تاريخ الأدب الجزائري، محمد بن عمرو الطمار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت، ص358.

[3]- إسهامات النخبة الجزائرية، ص49.

هذه النخبة المثقفة أن تخفف من عبء المجتمع؛ بإنشاء معاهد وفتح مدارس حرة، والاستفادة من تلك البعثات العلمية والأدبية التي كانت تَفِدُ من مختلف أمصار العالم.

وكانت لهم طاقات فكرية اكتسبوها من مختلف النواحي التي عايشوها في حياتهم، ذلك أنه «كانت أفكارهم منظمة، لا تصعب عليهم الأمور، يدركونها بكيفية عجيبة، لهذا اعتنوا بالعلوم والآداب، فكان منهم شعراء وأساتذة في التاريخ ومشرعون».[1]

ونظرا لتمسك المجتمع الجزائري بدينه وعقيدته ووحدته الاجتماعية فإن فرنسا كان من الصعب عليها أن تحقق مسعاها في تنصير الشعب الجزائري، ولهذا باءت محاولتها بالفشل سواء من ناحية تنصير المجتمع أو من ناحية فرنسته.

كل هذا الصمود الفكري والديني أرجعه العديد من الدارسين إلى إيمان الشعب الجزائري بقضيته الوطنية وشخصيته العربية، وصونها من كل دخيل عليها، وإن كانت فرنسا قد سيطرت على المدن الجزائرية الكبرى عن طريق احتلال مساجدها ومكاتبها، فإن الشعب الجزائري اتخذ من القرى والمداشر أماكن إستراتيجية لممارسة نشاطاته العلمية والثقافية.

ذلك أن «بعض الزوايا عرفت كيف تواصل مسيرتها رغم التضييق عليها ماليا وتربويا حتى أصبحت محاصرة، كما أن بعض الزوايا التعليمية قد ولدت في العهد الاستعماري نفسه مثل زاوية الهامل وزاوية عميش»[2]. إضافة إلى هذه المدارس والزوايا نجد أن الصحافة كان لها حضور واسع في إلهام الشعب الجزائري، والدفع به قدما نحو الاستقلال الذاتي، والوقوف في وجه تلك السياسات التي كانت دائما تسعى إلى تقييد مقوماته الوطنية وهويته الدينية.

ومن أشهر هؤلاء الصحفي عمر بن قدور الذي كتب مقالا يعبر فيه عن موقف الشعب الجزائري من سياسة الدمج والتجنيد التي طالت هذا الشعب، حيث قال: «إنا قوم لنا قومية عروقها متينة، وملة قيمتها ثمينة، فما لنا رغبة في الاندماج بفرنسا ولا بغيرها من الأجناس، وما لنا رغبة في نيل حقوق تجر علينا الويل والدمار، إنا لا نريد من فرنسا أن تمن علينا بتمدنها وعدلها، لأن لنا تمدنا وعدلا ذقناهما فصار كل شيء عندنا بعدهما مرا، وهل

---

[1] - أنطولوجيا الثقافة والمقاومة: الثقافة الجزائرية في مواجهة الاحتلال الفرنسي، أشكال الصراع السياسي والثقافي في الجزائر، (1830م-1930م)، عمار يزلي، منشورات البيت، الجزائر، د.ط، د.ت، 143/1.

[2] - تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت, ط1, 1998م، 3/ 169.

بعد ذوق العسل تذوق الحنظل؟!».[1] وهذا كلام صريح يمثل موقفَ مختلفِ فئات المجتمع الجزائري من السياسة التي كانت تتبعها فرنسا في الجزائر، ودليل واضح على فشل فرنسا في مسعاها.

ورغم تهجير فرنسا للمتعلمين، وتخريب الكتاتيب، وإقامة المعابد والكنائس المختلفة، إلا أن المؤسسات التربوية والثقافية التي تحافظ على الهوية كانت تنشط بسرية تامة رغم كل السياسات التعسفية، واستطاعت هذه المؤسسات «كذلك أن نحافظ على اللغة العربية، والثقافة الإسلامية العربية في مستوى محترم، متحدية التعسفات الاستعمارية. ومن هنا لا يمكن أن نقلل من دور هذه المدارس القرآنية والزوايا في نشر الثقافة والعلم في فترات صعبة امتازت بغياب تنظيم رسمي خاص بالتعليم الجزائري وقصور السلطات الفرنسية في القيام بواجبها "الحضاري"»[2].

لقد عرف المجال الفكري والثقافي في الجزائر نوعا من الصراع الإيديولوجي بين المحتل, والشعب الجزائري الذي لم يستسلم لتلك العقبات السياسية والنظم الاجتماعية والقوانين الإدارية التي حاولت فرنسا أن تقيد بها حركته التحررية، إذ نجد أن هذه الحركة استمرت في كل الجوانب، سواء الفكرية أو الثقافية أو الاجتماعية أو السياسية، تطالب بالسيادة الوطنية الكاملة؛ وكل هذه الظروف أعطت مجالا خصيبا للأدب والنقد، اللذين حاولا أن يتابعا هذه الأحداث ويسجلاها, من خلال منابر إعلامية وثقافية.

[1]- الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939م، محمد قنانش، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص26.

[2]- سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، عبد القادر حلوش، شركة دار الأمة، الجزائر، 2010م، ص135.

المبحث الثاني: أهم المنابر العلمية قبيل صدور البصائر

لقد عرفت الجزائر شكلا آخر من أشكال مقاومة المحتل, وذلك مع تبلور الفكر القومي واستفادة الشباب الجزائريين من تجربة الحربين العالميتين الأولى والثانية، التجربة التي كانت بمثابة العامل الرئيسي في اطلاعهم على العالم, والوعي بما يجري من أحداث وتطورات في مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية، الشيء الذي دفعهم إلى إعادة التفكير في أساليب ووسائل المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي الذي سعى جاهدا إلى محو معالم الشخصية الجزائرية من خلال التركيز على الميادين العلمية والدينية والثقافية، باعتبارها الممول الرئيسي لنشاط الشعب الجزائري.

ذلك أن فرنسا كانت تدرك أن سياسة القتل والترهيب والتدمير لم تُخضع الشعب الجزائري كلية لإرادتها، فما إن فشلت بعض مقاوماتهم المسلحة حتى عمدوا إلى نوع آخر من أنواع المقاومة الدينية والحضارية. فمع مطلع القرن العشرين أخذ الوعي الجماعي الجزائري ينحو منحى مختلفا تمثل في تنظيمات سياسية لتيارات ومذاهب مختلفة. كان يقودها ثلة من المناضلين سعوا من خلالها إلى الحفاظ على وحدة المجتمع الجزائري وتأكيد رمزية هويته الثقافية الإسلامية العربية.

ونظرا للظروف التي كانت سائدة في الجزائر آنذاك والتي من أهمها تلك السياسة التي اعتمدها الحاكم الفرنسي العام شارل جونار التي كانت تتسم بشيء من اللين في التعامل مع المجتمع الجزائري, حيث عمل على التقرب من النخبة الجزائرية ومحاولة تشجيعهم على خدمة المساجد والزوايا, والسماح لبعض الفئات من المجتمع بممارسة نشاطاتهم المختلفة مثل التعليم والقضاء. هذا وكان لقانون 1901م أثر بارز في مسار الحركة الوطنية.

نظرا لهذه الظروف سُمح للجزائريين بتأسيس الجمعيات والنوادي المختلفة، وإن كانت هذه السياسة في حقيقتها أسلوبا من أساليب محاولة شكلية لتجسيد مفهوم الجزائر الفرنسية. غير أن النخبة الجزائرية سواء في الداخل أو الخارج أثرت في الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، حيث نجحت إلى حد كبير في إنشاء جمعيات ونوادي وصحف ومجلات، مهما اختلف مضمونها وطريقة عرضها إلا أن هدفها هو المحافظة على الهوية الإسلامية الجزائرية، رغم فشل بعضها نتيجة للضغط الفرنسي عليها، إلا أنها استمرت بشكل أو بآخر في تحقيق رسالتها المنشودة، ومن أهمها نذكر التالي:

أولا: الجمعيات:

حيث تعتبر الجمعيات من أبرز مظاهر الوعي الفكري عند المجتمع الجزائري. ذلك أن الجزائر شهدت ميلاد العديد من الجمعيات التي لعبت دورا كبيرا في مواجهة الغزو الثقافي الفرنسي، وعملت على احتواء الأوضاع المزرية التي كانت في الجزائر آنذاك. واختلفت في طابعها الثقافي بين الجانب الديني والرياضي والاجتماعي وغيرها.

فإذا نظرنا إلى بداية القرن العشرين سنجد أن هذه الفترة اتسمت بشيء من الرقي الفكري للجزائريين وخاصة النخبة المثقفة التي أخذت على عاتقها مهمة النهوض بالمجتمع الجزائري من خلال تلك المعارف والعلوم التي اكتسبوها، سواء من الهجرة إلى البلاد العربية، خاصة تونس التي كانت المنبع الوفير لهذه الثقافة، وغيرها مثل مصر، والشام، والعراق. أو إلى البلاد الأوروبية وخاصة باريس.

ونظرا للدور الذي تؤديه هذه الجمعيات فإنه يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام حسب الوظيفة التي تؤديها:

I الجمعيات التي أسست داخل الجزائر:

1. الجمعيات الثقافية:

هذه الجمعيات كانت تسعى إلى تثقيف الفرد الجزائري وتزويده بمختلف المعارف والخبرات التي تمكّنه من مواجهة سياسة الاحتلال الفرنسي، والقضاء على حالة التخلف والعجز والجهل التي يعيشها الشعب الجزائري. ومن أهم هذه الجمعيات:

1. الجمعية الرشيدية:

وهي أول جمعية ثقافية برزت في الجزائر مع مطلع سنة 1894م، وقد كان تأسيسها على يد بعض الشبان الجزائريين المتخرجين من المدارس الفرنسية الجزائرية، الذين كانوا يلقون تأييدًا من الفرنسيين المتعاطفين مع الجزائريين.[1]

وكانت هذه الجمعية تهدف إلى تمكين المجتمع الجزائري من اللغة الفرنسية، ودمجه في التعليم بمختلف فئاته وذلك من خلال تقديم دروس ومحاضرات كانت تُمزج فيها اللغة الفرنسية باللغة العربية، ومحاولة ربط هذا المجتمع الجزائري بالأحداث التي تجري في العالم، وهذا من خلال النشرة التي كانت تقدمها باللغتين العربية والفرنسية.

وعمدت إلى تعليم فئة الكبار من الشيوخ، وذلك من أجل تحصينهم ضد السياسة الفرنسية، خاصة سياسة الإدماج والتجنيس والتنصير، وبلورة الوعي عند فئة الشباب، وحثهم على ضرورة التكوين الذاتي والتفتح على

---

[1]- ينظر: الحركة الوطنية الجزائرية، 2/ 139.

مختلف العلوم، وهذا ما يتجلى بوضوح من خلال تلك المحاضرات والندوات التي كانت تقيمها بين الحين والآخر سواء أكانت دينية أم أدبية أم علمية.

ومن أهم هذه المحاضرات تلك التي ألقيت سنة 1907م، والتي تبرز مدى فاعلية هذه الجمعية في النهوض بالمجتمع الجزائري، فقد حوت هذه المحاضرات مختلف العلوم الإنسانية، من أدب وقانون وسياسة وعلوم. حيث كان برنامجها لسنة 1907م كالتالي:

عنوان المحاضرة	المتكلم	اللغة
تاريخ الطب العربي	ابن بريهمات	فرنسية
التضامن والأخوة بين المسلمين	ولد عيسى مصطفى	عربية
الكهرباء	قندوز	عربية
التعليم	فتاح	عربية
مرض السل	ابن التهامي	فرنسية
تاريخ الأدب العربي	ع. ابن سماية	عربية
التشريع الإسلامي في الجزائر منذ1832م	ع. الأشرف	عربية
الإسلام واللغات الأجنبية	ابن زكري	عربية
الضوء: ملكيته وتطبيقه	قندوز	عربية
تاريخ التجارة	ابن قتال	فرنسية
التوفيق بين الإسلام والتقدم	ابن رحال	فرنسية[1]

ومن هنا نلاحظ أن هذه الجمعية الرشيدية؛ قد أسهمت في خلق نوع من الحراك الفكري والثقافي في الجزائر في الوقت الذي كادت تنعدم فيه معالم التحرر العقلي, وتطغى فيه الهيمنة الفرنسية وثقافتها, وهذا ما جعلها مركز استقطاب للعديد من فئات المجتمع الجزائري بمختلف توجهاتهم.

ذلك أنها في ظرف زمني وجيز استطاعت أن تتجاوز 200 عضوا في سنة 1910م, وقد أعطاها تراثها الفكري الذي برز من خلال أعضائها الذين تعددت جنسياتهم (جزائرية – فرنسية) وثقافاتهم ومذاهبهم.

2. الجمعية التوفيقية:

تأسست هذه الجمعية سنة 1908م، ولم تخرج في أهدافها عن ما كانت تدع إليه الجمعية الرشيدية، وهو تثقيف الشعب الجزائري، إضافة إلى ذلك فإنها كانت تدع إلى الرقي بالمجتمع الجزائري من خلال هدفها الذي هو

---

[1]– ينظر: المرجع السابق، 2/ 137.

جمع أولئك الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم، وتطوير الأفكار العلمية والاجتماعية. وكان من أهم الداعين إلى تأسيسها الشيخ بن التهامي؛ زعيم حركة الشباب الجزائري بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت هي الأخرى تسعى نشر أفكارها, من خلال إلقاء المحاضرات والندوات، ونشرها في مختلف الصحف.

وأخذت بدورها تنشط في مجالات عديدة كالأدب والدين والقضاء والتاريخ وعلم الاجتماع، وقد تزعمها مجموعة من النخبة المثقفين، وعقدت بدورها جملة من المحاضرات والندوات؛ والتي كان من أهمها سنة 1911م:

المحاضر	عنوان المحاضرة
بيتلي	فوائد التعارف
قاسمي	الحضارة العربية
صوالح	ملامح العالم الإنساني
برانكي	الأدب المعادي للإسلام
آيت قاسي	عقوبة الموت
معاشر	نابليون في مصر[1]

ومن خلال هذه العناوين يتجلى مدى فاعلية هذه الجمعية في تكوين الفرد الجزائري وتنمية معارفه المختلفة وجعله مطلعا على كل ما يمت للحضارة الإنسانية والرقي الفكري بصلة. ذلك أنها تعددت مواضيعها العلمية والإنسانية التي تدور في فلك المجال الاجتماعي والثقافي، وكانت في مساعيها بعيدة عن القضايا السياسية والدينية.

3. الجمعية الصادقية:

ظهرت هذه الجمعية بتاريخ 25 مارس 1910م، وكانت تهدف إلى دعم الجمعيات التي سبقتها، وقد تبلور مسعاها في محاولة خلق جو مناسب للتعاون بين جميع أعضاء هذه الجمعية، والدعوة إلى الاهتمام بالجانب التعليمي والتثقيفي خاصة في المجال الديني، وتقديم المساعدة للفقراء والمحتاجين بقصد جعلهم قريبين من مجال العلم والتعلّم.

وقد برز دورها الثقافي من خلال التظاهرات الثقافية التي كانت تقيمها بين الفترة والأخرى، ذلك أن جل اهتمامها كان منصبا على الجانب الفني الذي يتجسد بوضوح من خلال تلك السهرات التي كانت تقام فيها الأغاني الشعبية المختلفة من كل ربوع العالم الإفريقي. وحرصت على تثقيف الأطفال من خلال المسرحيات الغنائية. وإيصال رسالة ثقافية فنية إلى الشعب الجزائري مفادها أن الجزائر لها حضورها الشخصي المميز، وهويتها العربية الإسلامية المعترف بها.

[1]- المرجع السابق، 2/ 140.

وتمثلت هذه الرسالة في تلك الحفلات الموسيقية من مثل سهرة عربية التي نظمتها مجموعة لحن حر، ورقصة الأهرامات التي كانت عبارة عن رقصة استعراضية، وقدمت من طرف مجموعة تياني الهلال المثلث[1].

ومن خلال هذه الجمعيات الثقافية نلاحظ اهتمام النخبة في الجزائر بتوعية وتثقيف المجتمع الجزائري في مختلف الميادين من فن وأدب وعلوم إنسانية شتى، وقد ساعدها في ذلك إقبال هذا الشعب، وحبه لهاته العلوم ومعرفتها والاطلاع عليها ورغبته الشديدة في التخلص من معيقات الجهل والظلام التي حاصرته فرنسا فيها.

4. **جمعية العلماء المسلمين**: تأسست هذه الجمعية يوم 5 مايو سنة 1931م بالعاصمة في نادي الترقي، في اجتماع حضره 72 عالما جزائريا، اختلفوا في مذاهبهم وثقافتهم، وتعددت اتجاهاتهم الفكرية التي استقوها من مختلف المراكز العلمية في العالم. وقد تبلورت على يد عبد الحميد ابن باديس وتلامذته.[2]

سعت إلى تكوين جيل جزائري تحكمه قواعد إسلامية صارمة، وقد عملت بشكل جماعي موحد ضم العديد من العلماء والأدباء ورؤساء الزوايا الذين كانت لهم فطنة وخبرة بأحوال الجزائر الداخلية والخارجية، وخوفهم على الإسلام والعروبة، لاسيما مع بروز سياسات التنصير التي طالت المدن والقرى، وانعكاساتها على الحالة الاجتماعية والثقافية, وما طال الشباب الجزائري من آفات اجتماعية خاصة مع دعم فرنسا لمخاطر هذه الآفات؛ من خلال فتح الحانات وتوفير الخمور ومراكز الفجور والزندقة، فحاول أعضاء هذه الجمعية التصدي لهذه الآفات عن طريق التوعية، والوعظ والإرشاد.

كما لم تقف عند هذا الجانب بل سعت إلى إعادة الموروث الثقافي للأمة الجزائرية، فقد «لخصت جريدة لسان العرب أهداف الجمعية سنة 1947م في نقطتين اثنتين هما: إحياء ما اندثر من تعاليم الإسلام، وإحياء ما مات من مظاهر اللغة العربية».[3] وبهذا تبلورت الأهداف من وراء هذه الجمعية؛ وهي تطهير الدين من الخرافات والبدع، والمحافظة على الأصالة الجزائرية العربية الإسلامية، حيث كانت تردد دائما عبارات من مثل: العروبة والإسلام والعلم والفضيلة.

وقد تركز اهتمامها على جانبين هما: الزوايا التي كانت تدرس فيها الطرق الصوفية المنحرفة، والتي كانت تابعة للاستعمار الفرنسي, والجانب الثاني تمثل في الآباء والأخوات البيض الذين كانوا يحكمون المساجد التي

---

[1] – يُنظر: منطلقات وأسس الحركة الوطنية 1830- 1954، خيثر عبد النور وآخرون، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007م، ص136.

[2]– ينظر: كيف تحررت الجزائر؟، المركز الوطني لوثائق الصحافة والإعلام، الجزائر، ط2، 1989م، ص48.

[3]– جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945 دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، عبد الكريم بوصفصاف، دائرة الدراسات التاريخية، قسنطينة، الجزائر، 1996م، ص109.

حُولت إلى كنائس، حيث عمل أعضاء هذه الجمعية على محاربتهما بالحجة والبرهان العقلي، وتخليص العقل الجزائري من سيطرتهما، وتكوين الشخصية الجزائرية.

وهذا ما عبر عنه أحد أعلامها بقوله: «يجب أولا أن نعمل لأنفسنا واثقين بمؤهلاتنا، معتمدين على نضالنا، ونستعد ثانيا للدعاية لنهضتنا، مستكملين العدة لنبعث صوتا تدوي لوقعه أرجاء المعمورة...أما ونحن في سبات عميق لا نهتم بالدعايات الخارجية. ولا بأقلام ولا بصحف، ولا بالوسائل الخاصة، ولا نسعى أو نجتهد لنثبت شخصيات من شخصياتنا القديرة للشرق وأخرى للغرب».[1]

ولم تقتصر دعوتها التوعوية على الجزائر فقط بل انتشرت في كل أنحاء المناطق المحتلة, وحاولت أن تجمع المسلمين على مبدأ واحد وهو رفض المسيحية والتصدي لها وإعلاء كلمة الحق, وقد تمكنت هذه الجمعية من الصمود أمام هجمات المحتل.

2. الجمعيات الخيرية: وهي بدورها تنقسم قسمين:

أ- الجمعيات الخيرية التعاونية:

والتي تتولى الإشراف على توزيع المساعدات الخيرية والصدقات على الفقراء في المدن والمداشر والقرى. وكانت هذه الجمعيات قد حلت محل المكاتب الخيرية التي كانت تضعها فرنسا كمساعدة للمسلمين, وقد كانت هذه الجمعية «فرصة للتضامن الاجتماعي بين الجزائريين. وكانت التبرعات تجمع أثناء الحفل السنوي، وفيه كان يتبارى الخطباء والشعراء في الدعوة إلى الإحسان والبذل, وكان التلاميذ في عهد المدارس الحرة يتبارون أيضا على الأناشيد والحث على طلب العلم عن طريق تمثيل الروايات الأدبية والتاريخية»[2].

من جهة أخرى كانت تعمل على إسعاف المصابين؛ خاصة من فئة الفقراء والمعوزين وعابري السبيل، رغم أن الدعم المادي والمعنوي من طرف الحكومة كان ضعيفا, إلا أنها ظلت تحافظ على دورها في مساعدة الشعب الجزائري, الذي كان في أمسّ الحاجة إلى تلك المساعدة، خاصة في تلك الظروف القاسية التي يمر بها.

وقد عمل أعضاؤها على تنظيم وتنسيق الجهود فيما بينهم من أجل المحافظة على هذا العمل الخيري الذي كانت الظروف تحول دون إتمامه, وهذا عبّر عنه أحمد توفيق المدني بقوله: «إن رئيس بلدية الجزائر، ما يزال هو رئيس الجمعية الخيرية، وهو ما نص عليه قرار ماكماهون منذ 1868م، وأن أعضاء الجمعية كانوا عشرة، خمسة

[1]- تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، عبد الكريم بوصفصاف، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013م, 1/ 148.
[2]- تاريخ الجزائر الثقافي، 5/ 201.

من المسلمين وخمسة من الفرنسيين، وأن مداخيلها أو ميزانيتها كانت تتمثل في "إعانة" الدولة السنوية، وفي التبرعات والصدقات...وقد شكا من أن إعانة الحكومة قليلة والتبرعات والصدقات تكاد تكون مفقودة، ومعنى ذلك أن الجمعية كانت بعد قرن من الاحتلال في فقر مدقع»[1].

ورغم كل الظروف التي وقفت في وجه هذه الجمعية خاصة الجانب المادي, إلا أنها ظلت تناضل من أجل النهوض بالشعب الجزائري من حالة الفقر والعوز التي كانت منتشرة آنذاك.

ب- جمعيات الاحتياط:

هذه الجمعيات قامت بدور فعال فيما يختص بالجانب الفلاحي، وكانت تتألف من مجموعة من المزارعين، كما كانت تهدف إلى حماية الفلاحين الذين عملت فرنسا على نهب وسلب أراضيهم منهم، وتوريثها للمستوطنين الأجانب، فقد سعت جاهدة إلى الدفاع عن حقوقهم المسلوبة.

هذا وقد أقبل العديد من فئات الشعب الجزائري على هاتين الجمعيتين نظرا للأوضاع المعيشية التي كان تمر بها في تلك الفترة، وتبرز أهمية هذه الجمعية من خلال الدور الكبير الذي لعبته في خدمة المواطنين, مما أعطاها مكانة بارزة عند الأدباء والشعراء من أمثال محمد العيد آل خليفة، الذي قال عنها:

دامت لنا حـرَماً أمْناً وجـــامعةً كبرى نلُـمُّ بها الأحزابَ والشِّيعا
(خيْريةٌ) تحت حِزب ظلَّ يكــلأُها في جانبِ الله لا خوفاً ولا طَمَعا
على اسْمها التفَّ كالدَّوحَات محتفِلاً وباسْمها اقْترَحَ الخيراتِ و اقْتــرعا

و من ذلك (دار الخيرية) بالعاصمة كذلك، وقد قال فيها آل خليفة أيضا:

يَا دَارُ شادك للخَيْرات أَخْيَـــارُ فِيضِي على الناس بالخيراتِ يا دارُ
بُشرى الجزَائر صُنتِ اليوم صِبْيَتَهَا كما تصونُ فراخَ الطير أوكـــار[2]

---

[1]- ينظر: الجزائر، أحمد توفيق المدني، المطبعة المصرية، ط2، ص266، 267.

[2]- ديوان محمد العيد آل خليفة, دار الهدى, عين ميلة, الجزائر, د.ط, د.ت, ص234.

3. الجمعيات الرياضية:

وهي جمعيات كانت تهدف إلى المحافظة على النشاط البدني خاصة للطلبة الجزائريين، وذلك بهدف تنمية الصحة البدنية والعقلية، ومن أهمها:

1. جمعية الطليعة:

تأسست على يد مجموعة من الشباب الجزائريين، وكانت تضم طلبة مثقفين في مختلف مجالات المعرفة وهم خريجو المدارس الفرنسية (أطباء ومهندسون ومعلمون ومثقفون) وكانت تهدف إلى إثبات وجود الشخصية الجزائرية، وحضورها المعترف به في شتى المجالات، من بينها الرياضة.

2. الجمعية الرياضية الإسلامية:

ونظرا لمكانة الرياضة في الإسلام وحثه عليها، فقد سعى الشباب الجزائري إلى تجسيدها واقعيا، علما منه بأهمية الرياضة وانعكاساتها على الجانب الجسمي والعقلي.

3. جمعية الشبيبة والرياضة:

اهتمت بتطوير الفرد الجزائري وتكوينه ذاتيا من خلال توعيته، وتشجيعه على ضرورة حضوره في كل المجالات المتاحة ليثبت شخصيته ويبرز للآخر مكانته بين الجمعيات.

4. الجمعيات الفنية:

هذه الجمعيات كانت تمارس نوعا من الفن الراقي الذي سعت من خلاله إلى تنمية الروح الفنية لدى المجتمع الجزائري لدمجه بما يحصل في العالم من حوله، ففي الوقت الذي كانت تسعى فيه المنظمات السياسية إلى استعادة السيادة الوطنية بوسائلها الخاصة، سعت هذه الجمعيات إلى إعادة بناء الهوية الجزائرية، وذلك باسترجاع مقوماتها الشخصية (عادات، تقاليد، فن ...وغيرها) والتي عملت السلطات الاستعمارية على طمسها.

وإن كانت اتسمت بطابعها الشعبي إلا أنها لم تغفل الجانب اللغوي (اللغة العربية) والأدب الفصيح. بل عملت على ترقيته والاهتمام به وذلك من خلال الاهتمام بالتراث العربي، والذي كان مرتبطا بالجانب التعليمي من خلال نشاطات مدرسية مختلفة، ومن أهمها:

جمعية المزهر البوني للتمثيل: التي تأسست سنة 1932م، وكانت تعمل على مواجهة ومحاربة الآفات الاجتماعية المختلفة , وذلك من خلال إقامة حفلات توعية، واستضافة فرق موسيقية من مختلف أمصار العالم العربي، وقد ساندتها جمعيات أخرى من مثل الجمعية المطربية التي تأسست سنة 1992م، والتي نجحت

نجاحا باهرا. وجمعية المصلح التي تلتها مباشرة سنة 1923م في العاصمة. بالإضافة إلى جمعية الزاهية والتي كوّنها علي سلالي المدعو(علالو) سنة 1929م[1].

Π الجمعيات التي تأسست خارج الجزائر:

لقد ساهمت الهجرة إلى مختلف أمصار العالم – التي قام بها الشباب الجزائري هروبًا من الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي المتأزم – في بلورة وعيهم، ذلك أنهم اكتسبوا خبرات متعددة (طب–أدب–علوم–دين وغيرها) مكنتهم من الخوض في التجارب المختلفة، والدخول في المظاهرات العلمية ومراكز البحث والتعليم، فكان لهم الحظ الأوفر من العلم في مختلف الجامعات العربية (جامعة الزيتونة، والقاهرة، ودمشق...) والغربية (باريس وألمانيا...)، واستطاعوا أن يشاركوا في تأسيس منابر علمية بالخارج، لاسيما في تونس ومصر والمغرب ودمشق، حيث سمح لهم هذا الاحتكاك بالثقافات والمعارف الأخرى، بتكوين شخصية علمية قادرة على مواجهة السياسة الاحتلالية في مختلف مظاهرها. ومن أهم هذه الجمعيات التي شارك الجزائريون في تكوينها في الخارج، نذكر منها:

الجمعية الخيرية الإسلامية:

والتي كان مقرها الأستانة، كانت تهدف إلى بلورة وعي المهاجرين الوافدين من مختلف أنحاء العالم العربي إضافة إلى مساعدتهم ماديا ومعنويا في تكوين شخصيتهم للدفاع عن قضيتهم الوطنية، وكانت تنشر أعمالها ومحاضراتها في جريدة "عالم الإسلام Djham lslam" والتي كانت تصدر بعدة لغات كالتركية والهندية واللغة العربية. من أبرز ممثليها محمود شوكت وصالح شريف.[2]

جمعية الإخاء للجزائريين والتونسيين:

تأسست في القسطنطينية سنة 1915م، كانت تهدف إلى مساعدة المهاجرين الوافدين من البلاد العربية هروبا من سياسة الاحتلال. والتوسط بينهم وبين السلطات العثمانية، وعملت على نشر نداءات كانت تهدف من خلالها إلى توعية الشعب الجزائري والتونسي خاصة بضرورة الهجرة، وذلك عن طريق تقديم تسهيلات في التعليم والسكن والعمل والحصول على امتيازات مختلفة.

وقد كان الحضور الجزائري والتونسي كبيرا في هذه الجمعية، كما عملت على فتح فروع في مختلف الأمصار الإسلامية، وكان من أهمها فروع دمشق الذي كان يمول من طرف وجهاء الجزائر.

---

[1]– ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، 5/ 316– 320.

[2]- ينظر: قضايا تاريخية في الإسهام الفكري والحضاري، ص129.

جمعية الاتحاد المغربي:

ظهرت سنة 1910م، أسسها بعض علماء الجزائر من أمثال أمين باي المغربي؛ وغيرهم من أمثال محمد شرعي باشا والشيخ علي يوسف. وعملت هي الأخرى بدورها على تقديم يد المساعدة للجزائريين والمغاربة عموما وإثارتهم ضد السلطات الفرنسية، وكانت هذه الجمعية تعمل على توعية المسلمين وإرشادهم إلى حق الدفاع عن مقوماتهم الدينية.

جمعية الشرفاء (أو الأشراف): تأسست سنة 1913م على يد الشيخ الجزائري محمد المكي بن عزوز وسعت بدورها لإنارة الوعي والتفكير من أجل القضاء على حالة التخلف والجهل والظلام في المناطق الجنوبية الجزائرية وكذلك التونسية من أجل المطالبة بحقوقهم ضد سياسة المحتل.

الاتحاد الإسلامي:

نشأت هذه الجمعية بمبادرة من الجزائري خوالدية صالح، وقد تأسست للدفاع عن المقومات الإسلامية العربية، ومواجهة سياسة التنصير التي طالت المسلمين من العرب وغير العرب. وقد ركز رئيس هذه الجمعية خوالدية صالح على دعوة الجزائريين إلى النضال والجهاد في سبيل القضية الوطنية، وقد نشر مقالا له بعنوان "الإسلام" الذي سعى من خلاله إلى توضيح مساعي فرنسا في محاولة طمس الهوية الإسلامية.[1]

هكذا استطاعت هذه الجمعيات وغيرها أن تُسهم في النهضة الفكرية والثقافية في الجزائر، خاصة في تلك المرحلة الحرجة التي عرفها المجتمع الجزائري، وعرف فيها الثالوث الأسود، والذي كان من أخطر مظاهره الجهل والأمية التي كان يعيش فيها الفرد الجزائري، ذلك أن النخبة المثقفة في الجزائر على اختلاف مذاهبها الفكرية وتوجهاتها السياسية، قد أدركت أهمية العمل بالوسائل العصرية، أدت فيه دورا كبيرا، واستخدمته كوسيلة دفاع ومقاومة اتجاه السياسة الفرنسية الظالمة، لاسيما فيما يتعلق بالجانب الديني العقدي واللغوي.

وقد كان لهذه المقاومة السلمية صداها الواسع وتأثيرها على كل فئات المجتمع الجزائري على اختلاف مستوياتهم العلمية، وبساطة مدركاتهم العقلية. فاستطاعوا من خلالها أن يوصلوا قضيتهم للعالم، وأن يكون لهم حضورهم الخاص في المجالس العلمية ومنظمات الدفاع عن حقوق الإنسان، وكانت المنبر الذي يجمعها بغيرها من المجتمعات المضطهدة والمستعمرة مثلها، ومن جهة أخرى استطاعت أن تكسب عطف ومساندة الأوروبيين الذين كانوا ينادون بضرورة حق تقرير مصير الشعوب، لاسيما الفرنسيين منهم.

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص130، 131.

هذا وقد برز دورها بشكل جلي من خلال القفزة الفكرية التي حققتها، حيث بدأ الوعي الجزائري –في تلك الفترة– ينضج ويتحرر من الأوهام والخرافات التي كانت تطمسه عن رؤية الحقيقة، فهاجر الشباب الجزائري بحثا عن العلم وتكوين الذات عازمين على النهوض بالمجتمع الجزائري من حالة الانحطاط التي كان يعيشها آنذاك.

ثانيا: النوادي:

تعتبر هذه النوادي مظهرا من مظاهر الحراك الثقافي في الجزائر مع مطلع القرن العشرين، حيث هدفت إلى مساندة النضال السياسي، وذلك من خلال تحسيس الشعب الجزائري بضرورة الثورة والنضال والدفاع عن الهوية الإسلامية الجزائرية عن طريق إقامة ندوات ثقافية، وإعادة التراث العربي الجزائري القديم باعتباره منبع الأصالة التي تمتد جذورها مع الثقافة الإسلامية العربية بشرقها وغربها.

هذا وقد اختلفت النوادي في تأثيرها ومضامينها وأهدافها، كما اختلفت درجة تأثيرها واستقطابها لفئات الشعب الجزائري، وذلك تبعا لدرجة تأثيرها وقوة خطاباتها، حيث كانت تركز في أغلبها على إلغاء الخطب والمحاضرات التي بواسطتها تستطيع إثارة العقل الجزائري، والتي تكون فيها دروس متعددة المواضيع، ولكن موحدة الهدف، الهدف المتمثل في أخذ العبر والنصح والإرشاد؛ ومن أبرز هذه النوادي:

نادي صالح باي:

تأسس في قسنطينة عام 1907م، وقد وضع شعارا للتعريف به هو: (جمعية الدراسات الأدبية والعلمية والاقتصادية). وقد تأسس هذا النادي بدعم من النخبة الجزائرية المثقفة، والطبقة الفرنسية العاطفة على الشعب الجزائري، هذا وقد ترأسته شخصية فرنسية هو (أريب) وضم أعضاء بارزين في الحركة الوطنية الجزائرية من أمثال ابن الموهوب، ومصطفى باشطارزي، ومحمد بن باديس[1].

وقد ضم هذا النادي مجموعة من المتعلمين والمثقفين من مختلف التوجهات (المحافضين–الليبراليين)، وهذا ما ساعده على الانتشار والتوسع بسرعة كبيرة، حيث ركز في دعوته على الحث على الغيرة على مقومات الشخصية الجزائرية العربية للإسلامية، وسعى إلى ربط القضية الجزائرية بالقضية العربية عامة. وإن كان يدعوا إلى الإخاء بين الجزائريين والمستوطنين، وذلك من خلال تبادل الآراء والأفكار. حيث كان حريصا على نشر التعليم العام والمهني وإقامة مكاتب للقراءة والمطالعة، وإعانة الفقراء والمساكين والمستضعفين.

[1]– ينظر: منطلقات وأسس الحركة الوطنية، ص113.

وقد اعتمد في دعوته ونشر محاضراته على جريدة: "كوكب الشمال" التي كانت همزة وصل بين أعضاء النادي والجمهور المتلقي.

نادي الإقبال:

تأسس هذا النادي بجيجل 1919م، وتميزت جل أشعاره بالدعوة إلى ضرورة دعم فرنسا، ذلك أنها هي التي تمد الشعب الجزائري بسبل التطور والتقدم، وكثيرًا ما كانوا يُقيمون النشيد الفرنسي، والشعارات الموالية لفرنسا، والهتافات "تحيا فرنسا". وكانت تقام فيه دروس علمية قيّمة من مختلف العلوم والمعارف (علوم اللسان–علوم الدين–فنون الأدب) وكان يتسم بطابع خاص حيث جمع بين جوانب متعددة، منها الكشافة والندوات العلمية وغيرها، وإن كان هذا النادي في شعاراته داعما للسياسة الفرنسية ولحكمها إلا أنه استطاع أن يُسهم في اليقظة الفكرية للشعب الجزائري، ذلك أنه كان يضم فئات مختلفة من الشباب الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى والثانية، واطلعوا على الأفكار الجديدة التي تحدث في العالم، كما استفادوا من المجتمع الأوروبي في شتى الميادين (القضاء–السياسة–المدنية).[1]

نادي السعادة:

تأسس هذا النادي سنة 1925م بقسنطينة، كان يضم أعضاء متميزين منهم: الطيب محمد زرقين رئيسا وبلقاسم بنجبلين نائبه، وقد ألقى فيه عبد الحميد ابن باديس خطبة كانت حول تاريخ النوادي وتأثيرها في الشعوب، ويذكّر من خلالها بأهمية النادي في توعية الأمم. وأراد من خلالها أن يستنهض الهمم وينبه الغافلين عن القضية الوطنية وعن مقوماتها، ولم يكن هذا النادي مقتصرا على فئة واحدة من العلماء في حقل معرفي واحد بل تعددت مشاربه بين نواب وأطباء وعلماء وأدباء وغيرهم. وهذا ما أعطاه شرعية التوسع والانتشار.[2]

نادي التقدم:

تأسس هذا النادي سنة 1935م، وهو ذو طبيعة ثقافية إصلاحية، كان الهدف منه هو تقديم دروس تتسم بالطابع الديني تحث الشباب على ضرورة الكفاح من أجل المحافظة على مقوماتهم، وذلك من خلال الوعظ

[1]- ينظر: نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927م–1954م، الوناس الحواس، مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 1431هـ- 2012م، ص82.

[2]- ينظر: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، محفوظ قداش، ترجمة: أمحمد بن البار، دار الأمة، برج الكيفان- الجزائر، ط1، 2008م، ص308.

والإرشاد والتوعية والنصح. هذا وقد نوّه مجموعة من الأدباء والعلماء بدور هذا النادي ومن بينهم محمد العيد آل خليفة، وفرحات عباس. واستقطب النادي العلماء والمشايخ من مختلف مناطق الجزائر، حيث كانوا يقيمون ندوات توعوية خاصة خلال شهر رمضان، ويظهر من اسم النادي مدى أهمية أن يدرك الشعب الجزائري حقيقة واقعه المأساوي، وينهض ليخطو بنفسه خطوة إلى الأمام[1].

نادي الشبيبة الإسلامية:

تأسس هذا النادي سنة 1925م بتبسة، بالتحديد في ساحة القصبة التي كانت تعتبر المجال الخاص بالأوروبيين، أتاح هذا النادي للجزائريين باعتبارهم أبناء البلد أن يثبتوا للأوروبيين أنهم يستطيعون أن ينشئوا مكانا خاصا بهم ليقيموا فيه اجتماعاتهم، وقد استنكر الأوروبيون هذا الفعل وعارضوه بشدة، وطالبوا الحكومة الفرنسية بحله خوفا من تنامي روح الوحدة والتعاون بين مختلف فئات الشعب الجزائري.

وبالفعل عملت السلطات الفرنسية على غلق مقر هذا النادي، لكن السكان عملوا على إيجاد مقر جديد وعقدوا فيه ندواتهم، وأضحى من أكبر المنافسين للحانات والمقاهي الأوروبية، وبدأ هذا النادي نشاطاته العلمية والأدبية وتفاعل الجمهور معه بشكل واضح.

وهكذا أصبح النادي من أهم الروافد التي تستمد منه الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر، وأقبل الناس عليه من كل ناحية، واشتغل الناس بأمورهم وتوجهاتهم الفكرية نحو بناء مجتمع جزائري أصيل، وتعددت فئات المجتمع التي تنشط داخل هذا النادي وأخذت تتنافس فيما بينها في حفظ الشعر وتناقش القضايا المحلية والعالمية.

وقد ذكر مالك بن نبي أن هذا النادي أصبح سنة 1928م القلب الذي تُنظِّم نبضاته جريان الأفكار وانتشارها، وذلك عن طريق رجال القبائل اليحياوية والليموشية الذين كانوا يحملون معهم أفكارا مختلفة ينشرونها في المجتمع الجزائري، وهكذا استطاع هذا النادي أن يُسهِم في نشر الأفكار الإسلامية وعمل على توعية مختلف فئات المجتمع، ذلك أن العديد من المنحرفين انْضَوَوا تحت لوائه.[2]

نادي الاتحاد:

تأسس في 10 جويلية 1932م بقسنطينة، برئاسة محمد الصالح بن جلول، وقد كان مركزا تابعا لعبد الحميد ابن باديس يلقي فيه محاضراته ودروسه للوعظ والإرشاد، وتوعية الشاب، كما كان مركز لاستقبال الحجاج

---

[1] – يُنظر: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، أبو القاسم سعد الله، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007م، ص117.

[2] – يُنظر: مذكرات شاهد قرن، مالك بن نبي، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت–لبنان، دار الفكر، سورية، ط2، 1404هـ- 1984م، ص162- 167.

وخدمتهم، ولم يخل من المسامرات والجلسات العلمية والأدبية، والتي من أبرز موضوعاتها: "الإسلام والفطرة" و"الإسلام والعقل". وكثيرا ما كان يحرص ابن باديس على التذكير بأهمية النوادي في توعية الشعب. والمحافظة على الموروث العربي الأصيل خاصة من خلال حفظ القصائد وإلقائها. وتدرس علوم البلاغة والنحو والبيان والشريعة، والتي كانت الهدف الأول الذي سعى هذا النادي إلى بعثها وتأصيلها.

كما مسّ هذا النادي جوانب مختلفة من علوم المعرفة الإنسانية التربوية والمعرفية والإنسانية، وبهذا أصبح النادي «منبرا للأفكار الإصلاحية النيرة، ومركزا لاجتماع رجال الفكر والعلم والأدب والسياسة، وقد عرف ابن باديس كيف يسخّره لنشر أفكاره التربوية والعملية والسياسية بين شباب النخبة»[1].

واستطاع ابن باديس أن يحقق ما كان يصبو إليه من استقلال للشخصية الجزائرية، وإلحاق الشعب الجزائري بالحضارة الإنسانية وتحريره من الخرافات والبدع ومساوئ الأخلاق، وذلك من خلال مقاطعة تلك الاحتفالات التي كانت تقوم بها فرنسا، ونشر في ذلك مقالات وعقد ندوات عديدة. وكان يدعو إلى الطريقة السلمية في محاربة تلك السياسات الاستبدادية.

نادي الترقي:

تأسس هذا النادي بتاريخ 3 جويلية 1927م بالجزائر العاصمة, وقد ضم أعيانا من مختلف مناطق الجزائر وهو يمثل النواة الأولى لجمعية العلماء المسلمين، وقد سعى إلى أن يُحْدث ثورة على الأوضاع التي كانت تسود الجزائر في تلك الفترة، خاصة وأنه كان مسيرا من طرف عبد الحميد ابن باديس، وحمدان مناصلي إبراهيم، ومحمد مرابط، وغيرهم من الذين سعوا إلى توحيد العمل بين النخبة المثقفة، وتوكيد ضرورة تبادل الأفكار والآراء بين مختلف الجمعيات والنوادي، وذلك بهدف تسهيل نشر الدروس والمحاضرات، وإيصالها للمجتمع سواء في البدو أو الحضر، من أجل محاربة الطائفية والانقسام الذي كان قد بدأ يحدث بين رجال النخبة المثقفة، مذكرين أنه لا شيء فوق الوطن والدين.

ولهذا كان هذا النادي مقر استقطاب للعديد من المثقفين العرب وغير العرب، وساعده هذا على نشر أفكاره عن طريق الصحف والمحاضرات، والتي كانت السمة الغالبة عليها دينية، حيث تركز أغلبها على الدعوة إلى توحيد المسلمين وتطهير الدين من الشوائب التي لحقته، وإن كان قد تناول جلَّ المعارف الإنسانية التي تنوعت تبعا لتنوع ثقافات أعضائه.

---

[1]- الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، عبد الكريم بوصفصاف، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، ط1، 2009م، 1/ 385.

ولهذا وصفه محمد علي دبوز بقوله: «لا يوجد أي نادي في إفريقيا الشمالية قام بمثل ما قام به نادي الترقي من إلقاء المحاضرات، فهو لم يكد ينتهي من السنة الثانية من تأسيسه حتى كان عدد المحاضرات التي ألقيت فيه أكثر من 40 محاضرة»[1].

ونظرا لهذه الأهمية التي اكتسبها هذا النادي، ومدى تأثيره على الحركة الوطنية سواء داخل الجزائر أو خارجها، فإنه كان مستهدفا من طرف السلطات الفرنسية، مثله مثل غيره، وذلك لأنه كان يقاوم «نزعات الاندماج، كما قاوم طلب الجنسية الفرنسية قصد الإحراز على الحقوق السياسية»[2]. واستطاع رغم كل الظروف أن يحقق ما كان يطمح إليه مؤسسوه من نهضة عربية إسلامية شاملة. يقول فيه محمد العيد آل خليفة:

صفت بساحتك الوجه و رددت فيك الحكـــم
فرأيت ما يجلو العـمى وسمعت ما يجلو الصمم
ودخلت ظلك أستجير به و أنعم من أصـــــم
وأتيت ميدان اللســـان به و ميدان القلــــــم[3]

وقد شهدت الجزائر ميلاد نواد أخرى ومنها:

النادي العربي: تأسس سنة 1925م من طرف شبيبة قسنطينة.

نادي الإصلاح: تأسس سنة 1933م، وهو من النوادي الإصلاحية.

نادي الإخوة: تأسس سنة 1933م، بعين مليلة.

النادي الإسلامي: تأسس سنة 1933م من طرف الشيخ مبارك الميلي، يعتبر امتدادا للحركة الوطنية.

---

[1]- نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص145.

[2]- هذه هي الجزائر، أحمد توفيق المدني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص165.

[3]- دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص116.

ثالثا: الصحف والمجلات والكتب:

أولا: الصحف:

لقد أدت الصحافة دورا كبيرا في دعم الحركة النضالية في الجزائر، وأسهمت بشكل واسع في تخليص الفرد الجزائري من قيود الوهم والجهالة التي قيده الاستعمار الفرنسي بها.

ذلك أن الصحافة جاءت كبديل عن العرائض التي كان يستعملها الجزائريون في وقت ما للتعبير عن ردود أفعالهم اتجاه سياسة الاستعمار الفرنسي، والتي ما لبثت أن اختفت مع ظهور الصحف الوطنية التي كانت ولا تزال السجل الذي يحوي حاضر الأمة وماضيها.

فمن خلالها كان الشعب الجزائري يطلع على مجريات الأحداث، سواء داخل الجزائر أو خارجها. وقد مثلت همزة وصل بين الشعب والنخبة الوطنية، ولهذا السبب وغيره حاولت الحكومة الفرنسية أن تمنع صدورها وكانت تعمل على مصادرتها والتضييق عليها، وذلك عن طريق إصدار قوانين مختلفة، مثل قانون 1900م الذي كان يقضي بعدم صدور أية صحيفة باللغة العربية.

وهذا شكّل عائقًا في مسار الصحافة الجزائرية، في ذلك الوقت الذي كان فيه أغلب الشعب الجزائري يعاني من الجهل والأمية، ولم يستسلم الجزائريون لهذه الظروف أو غيرها، فتأثروا ببوادر الثقافة التي كانت في العالم في ذلك الوقت، مما جعلهم يدركون أهمية معرفة الوسائل العصرية باعتبارها المنبر الإعلامي الأول لإيصال أصوات الشعب، وقضيتهم للعالم، فكان لهذا التأثير -الذي خلفته الحرب العالمية الأولى والثانية، والهجرة التي قام بها الجزائريون إلى مختلف أنحاء العالم- أثرٌ بارز في التوجه الفكري والثقافي للنخبة الجزائرية.

فأسسوا صحفا وطنية مختلفة باختلاف أهدافها وغاياتها التي كانوا ينشدونها من خلالها، وهي الدفاع عن مقوماتهم الوطنية «وهكذا نلاحظ أن الجزائريين في هذه الفترة تفهموا الوطنية بمفهومها المعاصر، وربطوها بثلاثة عناصر: الدين، اللغة، الوطن. كما جاء على لسان عمر بن قدور:

قلمي لسان ثلاثة بفؤادي   ديني ووجداني وحب بلادي»[1]

وهكذا بدأ النشاط الفكري يتوسع بشكل سريع في الجزائر، حيث بدؤوا بالمطالبة بحقوقهم، والوقوف في وجه بعض القوانين الردعية، خاصة قانون التجنيد الإجباري، وحاولوا من خلال هذه الصحف أن ينقلوا قضيتهم

[1]- مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954م، محمد الطيب العلوي، منشورات وزارة المجاهدين، الأبيار-الجزائر، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، د.ت، ص94.

للعالم، ويفضحوا سياسة فرنسا التعسفية في الجزائر، واستعملوها كوسيلة للمطالبة بحقوقهم وتحسين أوضاعهم السياسية والاجتماعية والثقافية.

ذلك أن الشعب الجزائري، والنخبة المثقفة منه، استفادوا من تلك القوانين التي كانت تصدرها السلطات الفرنسية بين الفينة والأخرى خاصة القانون المتعلق بحرية الصحافة، وإن كان فيه شيء من التعسف والظلم حيث إن «قانون جويلية 1888م القاضي بحرية الصحافة. في الواقع كانت المعاملة مختلفة وكانت الصحافة الجزائرية عموما تحت حراسة شديدة، إلا أنه في هذا الباب لابد من الإشارة إلى أن التمييز كان على أساس الاتجاه والمحتوى السياسي للصحيفة، في هذا المنظور كانت القاعدة التضييق على الصحيفة إذا كان فيها ما لا يتفق مع رغبات الإدارة بصورة أو بأخرى»[1].

ومن هنا نلاحظ أن فرنسا كانت تحاول أن تجعل الصحف وسيلة من وسائل السيطرة على المجتمع الجزائري وجعله فرنسيا، عن طريق إخضاعها لسلطتها وتوجيهها حسب رغبتها، وهذا ما يبرز لنا بشكل جلي من خلال تلك الصحف الأولى التي كانت تصدر في الجزائر. والتي غالبا ما كان الجزائريون الموالون للسلطة الفرنسية يقومون بتمويل بعض الصحف التي يشرف عليها بعض الفرنسيين الذين وكلتهم فرنسا لحراسة هذه الجرائد. ومراقبة مواضيعها التي تنشرها ومراقبة ردود الأفعال عليها.

وكانت من أولى المحاولات في إنشاء الصحف هي جريدة المنتخب سنة 1883م، إلا أنها لم تلقَ رواجا كبيرا بسبب السياسة الاستعمارية، لتحل محلها جريدة الحق سنة 1893م، غير أنها لم تدم طويلا مثل سابقتها. واستمر الوضع على هذا الحال إلى سنة 1903م، والتي حملت معها أول جريدة عربية هي جريدة المغرب، وجريدة كوكب إفريقيا سنة 1907م.[2]

ومن هنا استطاعت هاته الصحف أن تبلور وعي الشعب الجزائري من أجل النضال والمقاومة ضد السلطة الفرنسية، ومن أهم هذه الصحف نذكر:

- **النصيح:**

ظهرت هذه الجريدة في أكتوبر سنة 1899م بالجزائر، محررة باللغة العربية، أنشأها مستعرب فرنسي يدعى "إدوارد كوسلان" (Gosselin) وهي جريدة أسبوعية ذات مذهب سياسي احتلالي، توقفت عن الصدور إثر

---

[1]- الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1910-1939م، صالح بالحاج، وزارة الثقافة، الجزائر، د.ت، د.ط، ص105.

[2]- ينظر: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جمال قنان، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م، ص175.

وفاة صاحبها في ديسمبر 1900م.[1] كان هدفها الرئيسي هو إعانة المسلمين وتوحيدهم، وتزويد الشعب الجزائري بمختلف المعارف والعلوم التي تساهم في بناء شخصيته المستقلة. وإن كان خطابها تميز بالركاكة والانحطاط واستعمال بعض المصطلحات العامية أحيانا كثيرة.

- **صحيفة المصباح:**

أسبوعية صدرت باللغتين العربية والفرنسية في وهران بين 1904-1905م. ثم بعنوان الهلال ما بين 1906 و1907م، مديرها المسؤول: العربي فخار.[2] كانت تهتم بالأهالي الجزائريين، وتدعمهم في الدفاع عن حقوقهم. وقد تميز أسلوبها بنوع من البساطة في التعبير، ولم ترق لغتها إلى اللغة العربية البليغة، واهتمت بمعالجة القضايا الدينية والاجتماعية من أجل دعم الشباب الجزائري، وتقديم يد المساعدة لهم من أجل الارتقاء بمستواهم الفكري.

- **الهلال** (الجزائر-"1906/1907م"):

برزت في أكتوبر 1906م مديرها ورئيس تحريرها الفرنسي (Vulpillere) (فولبيلر) كان صدورها ثلاث مرات في الشهر، مزدوجة اللغة، أما شعارها فهو: ((صحيفة مطالب الأهالي الشرعية)) توقفت عن الصدور في مارس 1907م.[3] وقد اهتم أصحاب هذه الصحيفة بالدفاع عن حقوق الجزائريين خاصة من ناحية المساواة بينهم وبين المستوطنين الفرنسيين، وسعت إلى فضح سياسة الاستعمار ومعاملاته الهمجية للشعب الجزائري.

- **الحق الوهراني** (وهران-"1911م/1912م") :

جريدة أسبوعية، صدرت بمدينة وهران، محررة في أول الأمر بالفرنسية، وبداية من أبريل 1912م، أضيفت لها صفحتان بالعربية، مديرها فرنسي يدعى "تابيي" (Tapié) اعتنق الإسلام وأخلص له، وبسبب اتجاهها الوطني الصريح وصدق لهجتها صودرت من طرف المستعمر سنة 1912م بعد أن صدر منها 46عددا.[4]

وقد دعمتها شخصيات بارزة في مسار الصحافة الجزائرية من أمثال عمر راسم وغيره من الكتاب الذين امتاز أسلوبهم بنوع من الجرأة والفصاحة، وقد كانت – على خلاف سابقاتها – مستقطبة للعديد من الشباب

---

[1]- ينظر: الموسوعة الصحفية العربية، تونس-الجزائر-الجماهيرية-المغربية-موريتانيا، محمد حمدان وآخرون، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، 1995م، 4/ 78.

[2]- ينظر: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، عبد الوهاب بن خليف، دار دزاير إنفو، الجزائر، ط1، 2013م، ص129.

[3]- ينظر: المصدر السابق, 4/ 78.

[4]- ينظر: مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962م، إبراهيم ميّاسي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013م، ص246.

الجزائري الطامح إلى تكوين ذاته المستقلة، وفي نفس الوقت كانت من الداعين إلى المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق والواجبات عن طريق القبول بقانوني الدمج والتجنيس، وإن كان هذا الفكر لا ينطبق على كافة الأعضاء المكونين لهذه الصحيفة، بل اقتصرت على فئة الشباب المثقفين بثقافة فرنسية خالصة.

- **الإسلام** (الجزائر-"1912/1913م") :

جريدة أسبوعية لصاحبها الصادق دندان، صدرت في أكتوبر1910م بعنابة، ثم تحولت إلى العاصمة في جانفي 1912م، وكانت لسان حال الشباب الجزائريين، حررت أول الأمر بالفرنسية، ثم بداية من جويلية 1912م صدرت نسخة بالعربية. توقفت النشرة في 1912م، بينما النشرة الفرنسية توقفت سنة 1914م.[1]

كانت تهدف بدورها إلى الدفاع عن حقوق المسلمين والوقوف في وجه السياسة الفرنسية المتمثلة في محاولة تنصير الشعب الجزائري عن طريق الآباء البيض والأخوات البيض، وهدفت أيضا إلى تثقيف المسلمين، نشر دروس ومحاضرات لأخذ العبرة وتكوين شخصية مسلمة قادرة على الحفاظ على مقوماتها الإسلامية العربية.

- **الفاروق** (الجزائر-"1913-1915م") :

أصدرها الكاتب عمر بن قدور في 28 فبراير1913م، وهي أول جريدة إصلاحية في الجزائر المحتلة، وقد تميزت عن غيرها بأسلوبها المتين في الصياغة، واستطاعت أن تحظى باهتمام ثلة من الأدباء، وذلك نظرا للمواضيع التي كانت تتناولها خاصة التي تتعلق بالجانب الديني التعبير عن اضطهاد المسلمين وتقهقر أوضاعهم المعيشية. ووصف حالة الفقر والعوز التي وصلوا إليها، والدعوة إلى وحدة المسلمين في كافة الأمصار الإسلامية.

كما حاربت سياسة التنصير تحويل المساجد إلى كنائس، وكوّنت جمعيات يترأسها شيوخ وأئمة يلقون محاضرات فيها من العبر والدروس ما يهذب أفكار وأخلاق الشباب الجزائريين، وخاصة المتفرنسين منهم، ولهذا السبب عملت فرنسا على نفي وتهجير العديد من أعضاء هذه الجمعية خاصة مؤسسها عمر بن قدور. ولكن على الرغم من هذا التضييق من طرف سلطات الاحتلال إلا أنها حافظت على دورها في توعية الشباب المسلمين لاسيما الجزائريين من أمثال الشاعر سعد الدين بن بلقاسم الخمار وغيره.[2]

[1]- ينظر: منطلقات الحركة الوطنية 1830-1954م، ص109.

[2]- ينظر: مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر، ص98، 99.

- **ذو الفقار** (الجزائر–"1913/1914م") :

تأسست هذه الجريدة بإشراف من الكاتب عمر راسم الذي تميز بخبرته وأسلوبه السهل الممتنع، وهذا ما أعطى لهذه الصحيفة مكانة بارزة عن غيرها، وقد هدفت إلى استرجاع مكانة الإسلام والدفاع عن المسلمين. وفضح السياسات التنصيرية التي كانت فرنسا تحاول من خلالها طمس الهوية الإسلامية. وعملت على كشف الحقائق التي كانت فرنسا تحجبها عن العالم من خلال إصدار بعض القوانين التي تتسم باللين والعدل في ظاهرها فقط.

وتعددت موضوعاتها لتمس مختلف المجالات المعرفية مثل علم الاجتماع وعلوم الدين وفنون الأدب المختلفة ودعت إلى المساواة بين أفراد الشعب، وضرورة إخراج الزكاة والنفقة على الفقراء للقضاء على حالة التشرد والمجاعة واليتم في المجتمع الجزائري. وقد كانت الموضوعات التي تُنشر فيها تمس الجوانب الإصلاحية في المجتمع وتغرس روح التسامح والأخوة بين المسلمين، وغيرها من الخصال والفضائل التي تجعل المسلم يسمو بنفسه عن حالة التردي والجهل التي كانت تسيطر عليه آنذاك.[1]

- **الإقدام** (الجزائر–"1920/ 1923م") :

حيث كانت هذه الجريدة تعمل على فضح سياسة الحكومة الفرنسية التعسفية، وحتى الموالين لها من الشعب الجزائري فقد نشرت رسالة الدكتور موسى الذي احتج على الطريقة المهِينة التي كان محافظ قسنطينة يستقبل بها المنتخبين المسلمين، وفضحت عملية تزوير الانتخابات التي قام بها القائمون على فرز الأصوات، ولم تكتفِ الجريدة بهذا بل كانت تعمل على وصف حالة المجاعة وصفا دقيقا حيا، من خلال سرد مداخيل الفرد الجزائري ومقارنتها بمداخيل المستوطن الأوروبي، ونقل بعض الشهادات والندوات التي كانت تعقد بين الفينة والأخرى.

هذا وقد تميز أسلوبها بالجرأة والصراحة الفاضحة، لاسيما حينما يتعلق الأمر بالسياسات التعسفية التي كانت تمارسها الحكومة الفرنسية، خاصة قانون التجنيد الإجباري ومصادرة الأراضي وجعل الجزائريين خماسين وخادمين فوق أراضيهم.

[1]– ينظر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 2007م، ص77.

كل هذه السياسات وغيرها كانت جريدة الإقدام تتابعها باهتمام، وتعمل على الرد عليها وكشف المستور منها لتحسين أوضاع الشعب الجزائري، والمشاركة في المقاومة الوطنية لتحقيق الاستقلال الذاتي من خلال تعبئة الأهالي وتحريضهم.[1]

- **المنتقد** (قسنطينة-"1925م") :

كان مقرها بمدينة قسنطينة حيث تأسست في جويلية 1925م، وكان رئيس تحريرها عبد الحميد ابن باديس. وقد كان اتجاهها منذ البداية صريحا، وهو اتجاه إسلامي وطني، حيث قامت بنشر مجموعة من المحاضرات والمقالات، والتي هدفت من خلالها إلى تثقيف الفرد الجزائري، وجعله يعتز بأصوله العربية الإسلامية، وقد ساعدها في هذا انضمام مجموعة من المثقفين الوافدين من مختلف أقطار العالم المتشبعين بالثقافة والفكر الإصلاحي.

فقد كانت بمثابة المنبر الذي يسمع منه الشباب الجزائري كلمته، ويوصل فكره وعلمه إلى مختلف فئات الشعب الجزائري، «لقد اتخذها الشعراء والروائيون منبرا لهم ومتنفسا لقرائحهم فجالوا وجادوا وأفادوا، كما ترجمت القصة العربية، وهذا بغية الاطلاع على المخزون الفكري والأدبي الغربي، لتتلاقى الأفكار وتتنور وتتنوع الروافد»[2].

وكان اهتمامها منصبا على الجانب الديني وإن كانت لم تُهمِل الجوانب الأخرى. وقد تميزت بأسلوب سلس، ولغة قوية، وأفكارها امتازت بالجرأة والجدية في الطرح، والاستشهاد بالشواهد القرآنية والأحاديث النبوية التي استطاعت من خلالها أن تستميل قلوب المسلمين العرب وغيرهم للوقوف مع القضية الجزائرية في المحافل الدولية.

ولا غرابة في ذلك فقد كانت تصدر عن علماء عارفين بمحكم التنزيل ومتمكنين من لغته. وهذا ما جعل السلطات الفرنسية تتابعها باهتمام بالغ، ثم كان مصيرها التعطيل، وقد «عطلتها الحكومة الفرنسية لحدة لهجتها»[3].

ولا عجب أن تحارب هذه الجريدة من قِبَل المحتل، ذلك أن رئيسها عبد الحميد بن باديس كان منذ البداية يصرح بعدائه لفرنسا ولقوانينها بكل جرأة وصراحة، وهذا ما تطلعنا عليه مقالته التي نشرها في أول افتتاحية كتبها في جريدة المنتقد والتي كانت تحت عنوان: "خطتنا-مبادئنا-وغايتنا وشعارنا"، والذي حاول من خلالها فضح وعود فرنسا الكاذبة وسياستها القمعية, وسلطتها الجائرة التي تمارسها على المجتمع الجزائري فيقول: «وإننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلا، ونحب وطننا ونعتبره منها جزءاً. ونحب من يحب الإنسانية ويخدمها. ونبغض من يبغضها

[1]- ينظر: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، 1/ 130، 131.

[2]- المنتقد، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، اعتنى بها: الهادي قطش، 2009م، (من مقدمة المعتني) ص4.

[3]- من أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد الحسن فضلاء، دار هومة (بدون عدد الطبعة وتاريخها) 8/1.

ويظلمها...وبالأحرى نحب من يحب وطننا ويخدمه، ونبغض من يبغضه ويظلمه، فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري، وتحبيب بنيه فيه، ونخلص لكل من يخلص له، ونناوئ كل من يناوئه من بنيه وغير بنيه»[1].

وبهذا استطاعت هذه الجريدة أن تُسهم في النهضة الثقافية والفكرية والدينية في الجزائر، وتحاول بشكل أو بآخر أن تقف في وجه سياسة التنصير وغيرها.

- **الشهاب** (قسنطينة-"1925م- 1939م") :

برزت هذه المجلة في 12 نوفمبر 1925م على يد عبد الحميد بن باديس. ولم تخرج في أهدافها عن أهداف الجريدة التي سبقتها. بل سارت على نهجها مدافعة عن علوم الدين واللغة والهوية الجزائرية، وكانت تدعو إلى النهضة الفكرية والثقافية والدينية، فقد تناولت الحديث وعلومه، وتفسير القرآن الكريم والفتاوى التي تتعلق بالمسائل الفقهية.

ذلك أن المجتمع الجزائري كان يعاني من التناقض والتأزم خاصة في ظل تضارب الأوضاع الثقافية والدينية والتي تولدت عن محاولة تنصير وفرنسة الشعب الجزائري من جهة، والنخبة المثقفة التي تحاول أن تعيد له مجده وأصوله الإسلامية العربية وتكون له شخصية قادرة على مواجهة المد الفرنسي.

ولم تقتصر على هذا الجانب الثقافي الديني، بل تعددت مذاهبها واختلفت توجهاتها الفكرية، فقد ضمت الأدباء والشعراء من مختلف المناطق العربية مثل تونس ومصر وغيرهما. كما ضمت سياسيين ومناضلين ساهموا في بعث النهضة العربية الأصيلة، وساهمت في بعث روح النضال والمقاومة في الشباب الجزائري، وتعبئته لمحاولة استنهاض هممه لتغير الوضع السائد آنذاك في الجزائر.

وهذا ما عبر عنه ابن باديس في هذه المجلة بقوله: «إني أحارب الاستعمار لأنني أعلِّم وأهذب، فمتى انتشر التعليم والتهذيب في أرض، أجدبت على الاستعمار، وشعر في النهاية بسوء المصير».[2]

وهذا مبدأ واضح في توجه هذه الجريدة نحو الجانب الإصلاحي الذي مكنها من اكتساب مكانة لدى الشعب الجزائري. وهذا ما جعل الشاعر محمد بن بسكر يمدحها بقوله:

حيّ (الشهاب) وحيّ الشيخ (باديسا) وأسأل له الله توفيقاً وتأنيسَا

وقل رعاك الذي أعطاك موهبةً حزماً وعزماً وتأليفاً وتدريسَا

لله دَرُّكَ يا (عبد الحميد) لقد محوت عن ديننا المحبوب تدنيسا[1]

---

[1]- الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، تركي رابح عمامرة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر, ط2، 1424هـ/ 2003م، ص124.

[2]- الجزائر في التاريخ، عثمان سعدي، شركة دار الأمة، برج الكيفان-الجزائر، 2013م، ص686.

وهذه قائمة بأهم الجرائد التي صدرت في الجزائر :

اسم الجريدة	رئيس تحريرها	مكان صدورها	تاريخها
المبشر	الولاية العامة الفرنسية	الجزائر	1847
المنتخب	بيار اتيان	قسنطينة	1882
الجزائري	لوسياني	الجزائر	1900
الأخبار	فيكتور باروكان	الجزائر	1903
الإحياء	جان ديرايو	الجزائر	1907
كوكب إفريقيا	محمود بن دالي	الجزائر	1907
الجزائر	عمر راسم	الجزائر	1908
المسلم	داليس	قسنطينة	1909
البريد الجزائري	عز الدين القلال	الجزائر	1913
أخبار الحرب	جان ميرانت	الجزائر	1914
النجاح	عبد الحفيظ بن الهاشمي	قسنطينة	1919
الصديق	محمد بن بكير التاجر	الجزائر	1920
الاستقبال الجزائري	بلقاسم بن التهامي	الجزائر	1920
لسان الدين	مصطفى حافظ	الجزائر	1923
التقدم	بلقاسم بن التهامي	الجزائر	1923
الجزائر	محمد السعيد الزاهري	الجزائر	1925
صدى الصحراء	أحمد بن العابد العقبي	بسكرة	1925
وادي ميزاب	أبو اليقظان	الجزائر	1926
الحق	علي بن موسى العقبي	بسكرة	1926
البلاغ الجزائري	محمد محي الدين (العليوية)	مستغانم ثم الجزائر	1926
البرق	محمد السعيد الزاهري محمد عبد المجيد رحموني	قسنطينة	1927
الإصلاح	الطيب العقبي	بسكرة ثم الجزائر	1927
ميزاب	أبو اليقظان	الجزائر	1930
المغرب	أبو اليقظان (تعموت عيسى)	الجزائر	1930[2]

[1]- عاش ((الشهاب)).!، محمد بن بسكر، الشهاب، ع3، أبريل 1930م، ص186.

[2]- ينظر: الصحف العربية الجزائرية، ص232- 234.

النور	أبو اليقظان	الجزائر	1931
المبصر الإفريقي	خبشاش وشندرلى	قسنطينة	1931
التلميذ	(لسان حال الطلبة المسلمين)	الجزائر	1931
المرصاد	محمد عبابسة الأخضري	الجزائر	1931
الإخلاص	المولود الحافظي الأزهري(علماء السنة)	الجزائر	1932
المعيار	مصطفى هراس	الجزائر	1932
السنة	الطيب العقبي والزاهري (جمعية العلماء)	قسنطينة	1933
الجحيم	جماعة من الشباب الإصلاحي	قسنطينة	1933
الحياة	مفدي زكريا، باسعيد عدون (جمعية الوفاق)	الجزائر	1933
البستان	أبو اليقظان (تعموت عيسى)	الجزائر	1933
الشريعة	الزاهري والعقبي (جمعية العلماء)	قسنطينة	1933
النبراس	أبو اليقظان	الجزائر	1933
الحارس	عبد الرحمان غريب	الجزائر	1933
الأمة	أبو اليقظان	الجزائر	1933
الصراط	الزاهري والعقبي (جمعية العلماء)	قسنطينة	1933
الثبات	عبابسة الأخضري	الجزائر	1934
أبو العجائب	محمد بن العابد الجلالي	قسنطينة	1934
الفضيلة	موسى خداوي	البليدة	[1]1935

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص234، 235.

ثانيا: المجلات:

لقد أسهمت المجلات بدورها في الحراك الاجتماعي والثقافي في الجزائر باعتبارها منبرا من منابر العلم والمعرفة ووسيلة مهمة في توصيل النخبة المثقفة بالشعب. ذلك أنها كانت الوسيلة التي يطلع بها الأهالي وبأقلام النخبة على الوضع الداخلي والخارجي للجزائر وتطوراته.

وكانت تصل إلى الجزائر من دول عربية مختلفة خاصة تونس ومصر، وهو الشيء الذي دفع النخبة الجزائرية إلى التأثر بالحركة العلمية في تلك الدول، والنهل من منابعها الفكرية والثقافية، وقد استفادوا من أسلوبها في التحرير. كما حاولوا أن يخففوا من وطأة الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي الشاذ الذي فرضته السلطات الاستعمارية.

ومن أهم هذه المجلات:

1. **الإحياء** (الجزائر-"1907م")

مجلة الإحياء «تُعتبر أول مجلة عربية تصدر بالقطر الجزائري كله، فقد برزت في العاصمة في 14 فيفري من سنة (1907) وهي لمستشرقة فرنسية تدعى الآنسة ((جان ديرايو)) (Desrayaux) أو جمانة رياض, أو فاطمة الزهراء كما كانت توقّع كتاباتها»[1].

وقد امتازت هذه المجلة بأسلوبها السهل الممتنع، وبلاغة التعبير والبيان، واهتمت بشكل خاص بالجانب الديني وعملت على استرجاع مكانة الشخصية العربية المسلمة عن طريق فضح سياسة التنصير والتحذير من البدع والخرافات. وعلى خلاف غيرها من الصحف فإنها كانت تصدر أعدادها بلسان عربي مبين. قاصدة من وراء ذلك تثقيف الجزائريين بثقافة أصيلة. ومحاولة في الوقت نفسه أن تعيد للمسلمين مجدهم من خلال الدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق والشيم الحميدة والفضائل التي كان يتصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم.

2. **الجزائر** (الجزائر "1908")

ترأسها عمر راسم، وهي تعد أول المحاولات الصحفية الناجحة إلى حد ما في دعم الحركة الوطنية النضالية بشكل واضح وصريح. ولعل هذا ما جعلها تصادف «إقبالا عظيما لأنها كانت تعالج مواضيع حية كالاحتجاج

[1]- تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، محمد ناصر، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، المجلد: 1 (المقالة الصحفية الجزائرية)، ص64.

ضد التجنيد الإجباري، وفداحة الضرائب، وكان مفتي الجزائر آنذاك الشيخ محمد السعيد بن زكري قد طلب من صاحبها أن يحرر منشورا كرسالة يمضيها بخط يده تنشر في المدائن للدعاية لها وترغيب الأمة في قراءتها»[1].

وقد دعا مؤسسها إلى جعلها منبرا من منابر العلم والمعرفة، وداعمة للحركة السياسية العسكرية، من خلال مواضيعها المختلفة، ولهجتها الحادة في التعبير عن حالة الدمار والخراب والقتل والتهجير التي كانت تحكم الجزائر في تلك الفترة. ولكن هذه المجلة لم تعمر طويلا، إذ أنها لم يصدر منها إلا عددان. وقد حالت الحاجة المادية دون إتمام مشروعها.

3. **التلميذ** (الجزائر "1931- 1933")

تأسست هذه المجلة من قِبَل الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين بإفريقيا الشمالية، وقد كانت تنشط باسم الطلبة المسلمين في الجزائر، محاولة الوقوف في وجه حالة التردي والجهل والسوداوية والتعتيم التي كان يعيشها العالم العربي الإسلامي عامة والجزائر خاصة. وسعت إلى الرد على تلك الثلة من النخبة ذوي الثقافة الفرنسية والتي كانت موالية في أفكارها إلى تنصير المسلمين.

ولم تقتصر على هذا الجانب فحسب بل اهتمت كذلك بالجانب الفني الأدبي، فأسست قسمًا لتدريس اللغة العربية، ونشر الثقافة الإسلامية والتذكير بالموروث العربي، وذلك من خلال استنهاض همم الشباب، وذلك من خلال مقالاتها، حيث نجدها تدعو إلى هذا في مقال لبعزيز بن عمر الذي يطالب فيه الأساتذة والطلبة بالاهتمام بلغتهم العربية «بأن يجعلوها لغة رسمية لهم، لا في أوقات الدرس فحسب بل في جميع أوقات محاوراتهم، ومخاطباتهم حتى يكونوا قد أظهروها بالمظهر اللائق بها، ودفعوا عنها كل ما يحوم حولها من الأقوال الباطلة».[2] ولتدعيم مذهبها في الدفاع عن الموروث العربي كانت تصدر في أعدادها مجموعة من القصص والأشعار والملاحم والبطولات والسير.

4. **مجلة الفضيلة** (البليدة "1935")

صدرت في الرابع عشر من شهر أكتوبر 1935م. وكان رئيسها موسى خداوي. كانت متعددة الاتجاهات أدبية واجتماعية واقتصادية وسياسية. غير أنه غلب عليها الجانب الاجتماعي حيث كانت حريصة على الرقي بأخلاق الشباب الجزائري، ونشر تعاليم الدين الإسلامي. والدعوة إلى الصدق والأمانة وعدم الاعتداء على

---

[1]- تاريخ الصحافة الجزائرية العربية في الجزائر، مفدي زكريا، جمع وتحقيق: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003م، ص54، 55.

[2]- الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939م، محمد ناصر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص117.

الآخرين. وكثيرا ما كانت تستخدم في مقالاتها الشواهد لقرآنية والأحاديث النبوية، وهذا ما جاء في افتتاحية العدد الأول الذي صدر منها: «وهذا التهذيب الذي نريد أن نفتح به أفكار الأمة الجزائرية، ونريد أن نجعله الحجر الأساس في (الفضيلة) هو مبني على أصول الدين الإسلامي، وتطهير النفوس من الأدران، وحفظ الفكر من الحيرة والهذيان، وتوجيه القلوب إلى البحث والتنقيب عما يلزم لحياتنا الاجتماعية والأدبية والاقتصادية».[1]

ومن هنا نلاحظ أن اتجاه هذه المجلة كان اتجاها دينيا حاول الحفاظ على العقل الجزائري من التحريف والبهتان.

ثالثا: الكتب:

ظهرت العديد من الكتب التاريخية والأدبية والعلمية والفقهية وغيرها، والتي كانت تسعى إلى بعث التراث العربي الأصيل، والمحافظ على هذا الموروث من الاندثار والطمس، خاصة في فترة كانت فيها الأمة الجزائرية تعيش في ظلام دامس، وسياسات قهرية ثقافية تعمل على الفرنسة ومحو كل معالم الموروث العربي، وما قدمه الأجداد للأحفاد، والآباء للأبناء.

وقد ساهمت عوامل عديدة في بعث هذا التراث الفكري والحضاري، ولعل أهمها: حضور أولئك العلماء والأدباء الذين تصدوا بفكرهم وثقافتهم لهاته القوانين، فألفوا ما استطاعوا، وشرحوا وعلقوا. وطبعوا ونقحوا من التراث، ومن هؤلاء الورتيلاني والغبريني وغيرها، حيث حاولوا أن يذكّروا الأمةَ العربية بأمجادها وعلمائها ورقيّها وتحضّرها في الوقت الذي كانت تعيش فيه الدول الأوروبية في عصور الانحطاط والظلام.

ومن أبرز هذه المؤلفات:

بعض المؤلفات التي أسهم محمد بن أبي شنب في نشرها:

بعض هذه المؤلفات جاءت كتحقيق لبعض المخطوطات، وقد تُرجم بعضُها إلى الفرنسية، وبعضها تناول موضوع السيرة، وهي عبارة عن معاجم تتناول سير العلماء والأولياء الصالحين، كما لم يُهمل الحديث عن الشعر وخاصة الملحون.

1- الرحلة إلى الحجاز:

وهو عبارة عن مخطوط للشيخ الحسين الورتيلاني بعنوان: ((نزهة الأنظار في فضل علوم التاريخ والأخبار)) والذي يُعرف بالرحلة الورتيلانية. طبع في الجزائر بمطبعة المستشرق بيار فونتانا Pierre Fontana سنة 1908م في 230 صفحة.

---

[1]- تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، 1/ 278.

2- كتب المعاجم:

-كتاب البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، لابن مريم، الجزائر. مطبعة مراد التركي، 1908م، 380 صفحة.

-عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، الجزائر، مطبعة مراد بن تركي، 1910م. 254 صفحة.

-طبقات علماء إفريقيا لأبي عبد الله بن الحارث الخنشي، وطبقات علماء تونس لأبي العرب محمد التميمي. نشرها محمد بن أبي شنب في الجريدة الآسيوية journal Asiatique سنة 1906م.

-الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية لمؤلف مجهول، طبع بالجزائر سنة 1920م.

ومن العلماء الذين نشطوا أيضا في مجال التأليف نذكر أبو القاسم الحفناوي الذي ألف موسوعة معنونة بـ «"تعريف الخلف برجال السلف"، والتي تعتبر بمثابة تذكير للجزائريين بمآثر أسلافهم في العلوم والآداب. حتى يقتدوا بهم في الإقبال على العلوم العربية الإسلامية، والمحافظة على تراثهم القومي الثقافي، والاعتزاز به في وجه دعاة الفرنسة والتغريب، ويعتبر هذا الكتاب وثيقة هامة لتاريخ الثقافة العربية بالجزائر[1]».

وهناك أيضا عبد الحليم بن سماية الذي ألف كتابه: « "فلسفة الإسلام" وقد قدمه إلى المستشرقين في الجزائر سنة 1905م، وقد وصفه الشيخ عمر راسم بقوله: (ولما فيه من الحقائق النيّرة لم ترضَ الحكومة بطبعه)، إنه كتاب قيّم، ليت دور النشر في الجزائر تبحث عنه فتطبعه»[2].

-الكاتب: المجاوي، الذي عكف على تدريس وتعليم التلاميذ مختلف المعارف الإنسانية، ونذكر من هذه كتبه:

-إرشاد المتعلمين: وهو كتاب في اللغة والنحو والبلاغة.

-نصيحة المريدين: رسالة توجيهية.

-شرح شواهد ابن هشام: كتاب في النحو واللغة والأدب.

-شرح اللامية المجرادية في المسائل النحوية: نشرها بعنابة سنة 1894م، أما المنظومة نفسها فهي لأبي عبد الله محمد بن محمد بن مجراد.

-الدرر البهية على اللامية المجرادية في الجُمل، وقد طبعت في 64 صفحة.

---

[1]- الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، تركي رابح، ط5، 1422هـ-2001م، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار ANEP، ص133.

[2]- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، وزارة الثقافة, الجزائر، 2007م، 1/ 124.

-نزهة الطرف في المعاني والصرف: غلب عليها الطابع النحوي الصرفي.

-الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية: في اللغة والنحو، أنجزت بمطبعة فونتانا سنة 1901م.

-شرح منظومة ابن غازي في التوقيت.

-الإفادة لمن يطلب الاستفادة: يضم مسائل فقهية وبلاغية جاءت في 64 صفحة.

مؤلفات محمد بن الخوجة بن مصطفى: له مؤلفات عديدة تعبّر عن ثقافته الفكرية والدينية؛ نذكر منها:

-الباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب: الذي كان يدافع فيه عن الدين الإسلامي ومحاربة البدع والخرافات والمعتقدات الباطلة السائدة التي كانت تسيطر على العقل الجزائري.

-رسالة تنوير الأذهان: سعى من خلالها إلى تنوير الفكر العربي.[1]

[1]- ينظر: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية, ص116- 121.

الفصل الثاني:

قضايا واتجاهات

النقد الجزائري الحديث

من خلال البصائر

المبحث الأول: قضايا النقد الجزائري الحديث

لقد عرفت الساحة النقدية بالجزائر لاسيما في فترة الحداثة العديد من المواضيع الأدبية التي كانت تتزامن وحركة النقد الأدبي، وإن كانت قد وُسِمت العمليتان – الأدبية والنقدية- بشيء من الضعف إلا أن هذا لم يمنع الأدباء والنقاد الجزائريون من الدفع بعجلة إبداعهم الأدبي والنقدي إلى الأمام, جاعلين له بصمته الخاصة التي طبعت الفترة الغاصبة، وقد ساعدهم في ذلك صدور جرائد ومجلات كانت المنبر الحر لهذه الإبداعات النقدية والأدبية، ومن هذه المنابر نجد: الشهاب، والصراط المستقيم، والبصائر[1].

وسنحاول هاهنا الوقوف على أبرز القضايا، وأهم الاتجاهات النقدية التي طرقتها جريدة البصائر.

لقد طُرح العديد من القضايا النقدية التي حاولت أن تساير الإنتاج الإبداعي الأدبي الجزائري لتلك الفترة وتقييمه وتقويمه، لتجعله أكثر مسايرة للواقع، ولتدفع به في طريق النمو، وتخلصه من قيود الضعف التي لحقت به، فجعلته يتأخر نسبيا عن الإنتاج الأدبي العربي. وهذا ما دفع بالنقاد إلى إعادة النظر في العديد من القضايا النقدية التي من شأنها أن تعيد للأدب الجزائري مكانته وتنهض به في ظل الهيمنة الفرنسية.

ومن أبرز هذه القضايا التي عالجها النقاد في جريدة البصائر على سبيل المثال لا الحصر:

أولا: قضية الالتزام:

قد تبدو قضية الالتزام من أهم القضايا النقدية، وهي متشابكة مع الإبداع الأدبي، ذلك أن الأديب حين يعبر عن رأيه في فكرة ما أو موضوع معين غالبا ما يكون ملتزما بها، فإذا ما نظرنا إلى فكرة الالتزام في تاريخ النقد الأدبي الطويل فإننا نجدها تحث الكاتب إلى التعبير عن واقعه وواقع مجتمعه.

ذلك أن «غاية الأدب مساعدة الإنسان في فهم نفسه، وتنمية إيمانه بها مع تنمية مساعيه الرامية إلى الحقيقة ومكافحة اللؤم بين الناس»[2]، وتوحيد أبناء قومه على كلمة واحدة.

---

[1] - جريدة البصائر: "السلسلة الأولى" (1935م-1937م) برئاسة الطيب العقبي، (1937م-1939م) ترأسها مبارك الميلي، أما السلسلة الثانية، (1947م-1956م) ترأسها محمد البشير الإبراهيمي.

[2] – فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، رجاء عيد، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1988م، ص124.

وهذا هو حال الأديب الجزائري في تلك الفترة التي عجز فيها القلم واللسان عن وصف حالها. فغدا الأديب ومجتمعه يعيشان حالة من الانهزام النفسي أثرت بشكل أو بآخر على حالة الإبداع الأدبي الجزائري ومنها على مسار النقد الأدبي الجزائري.

وفي هذه الحالة نجد العديد من النقاد الجزائريين قد دفعوا بالأديب إلى ميدان الكتابة متفحصين حالة المجتمع ومتعمدين أن يجعلوا الأدب جزءًا من الواقع يرتقي بالنفس البشرية، ويخفف من وجع الشعب مادام الأدب في نظرهم «هو لغة روحية نخاطب بها أرواح الغير هو التفكير الصادق عن شعورنا وخلجات أنفسنا وإحساساتنا هو التصوير الجلي لأخيلتنا وما ينطبع في أنفسنا من صور الحياة. وبهذا وحده يكون مرآة أمة»[1]. فالأديب ابن بيئته، وما يعبر عنه هو نابع من عمق الواقع الإنساني الذي يعيشه مجتمعه.

لاسيما في فترة كان فيها لسان حال الأمة يقول: إن الزمن تكالب علينا، والمستعمر دمر نفوسنا وحطم أمانينا. ولم يبق لنا من مُعين سوى قلم الأديب الذي يحمل الأمة على النهوض بهممها، ودفعها نحو المضي قدما ويدفع عن النفوس حالة الشؤم والأسى «فالأديب الحديث هو الرسول في عصر ما بعد الرسالات، لأن مهمته تقتضي ذلك، ومسؤوليته أصبحت من أخطر مسؤوليات قائد الجيوش،...وعلى هذا فلا يجوز أبدا للأديب أن يتملق الحكام أو العظماء أو أرباب المال على حساب الحق خوفا أو طمعا. كما لا يجوز له أن يكتب لغير غاية، ولا يقول كما قال بعض المتأدبين "الأدب للأدب" ومعنى هذا أن الأدب لا يؤدي أية وظيفة في الحياة، وهذا الكلام لا يظهر له معنى».[2]

فالأديب الجزائري عرف الظلم والتعجيز والتخويف، وعاش كل المآسي الإنسانية التي شهدها العالم في فترةٍ كان صوتُ المستعمر هو المسموع. ولأن هذا الأديب حاله من حال مجتمعه، لا يعرف استكانة للمهانة، ولا ضعفا للضغوطات النفسية والجسدية التي مورست عليه، فإنه رفع كلمته المعبرة عن صوت الجماعة لا الفرد. وبالتالي فمصداقية الأدب ونزاهته تكمن في مدى تأثره وتأثيره في مجتمعه لأنه نابع منه وموجّه إليه.

ومن هنا يمكن أن نحكم على هذا الأدب إن كان جيدا أو رديئا، انطلاقا مما يحمله من غايات نبيلة وقيم إنسانية مؤثرة في النفوس يستطيع بها أن يغير هذا الواقع، وذلك عن طريق الكلمة الصادقة الموجهة إلى أمة كان فيها صوت الحق مبحوحا يكاد لا يسمع.

[1] – ما لهم لا ينطقون، أحمد رضا حوحو، البصائر، ع211،(29/ 12/1952م)، ص252.

[2] – كيف أريد الأدب والأديب؟، عمر بوناب. البصائر، ع 242، (02/ 10/ 1953م)، ص137.

وليس هناك من عجب إذ نجد اهتمام النقاد الجزائريين في فترة الاحتلال ينصبّ على قضية رسالة الأديب ومدى التزامه بقضايا مجتمعه بكل أبعاده الإنسانية, فقوام الأديب في نظرهم «روح قوية، ومفعمة بحب الخير والجمال، طلعة[1] إلى المجد مغرمة بالمثل العليا...تستسهل كل صعب حتى تصيب الأهداف الشريفة، وقلب رحب يتسع لآلام الجماعات وآمالها...متغنيا بالتجلد والمقاومة، من الاستكانة والاستسلام، ويسمو بالآمال ويهذبها فيؤمن بها ويلتف حولها، ونظرة صادقة قلما يخطئها التوفيق».[2]

ذلك أنه لا يخفى على أحد ما عانته الأمة الجزائرية في ظل الاستعباد والاستبداد فكان جهاد القلم والكلمة يضاهي جهاد السيف والقنبلة، ولكن ليس من السهل على الأديب أن يحمل هذه الرسالة وإن كان واعيا بخطورتها وأهميتها، ذلك أنه يجب أن يتسم بالأمانة والشمولية في حديثه عن حال مجتمعه، ويتتبع كل فئة ووضعيتها المعيشة مهما تعددت طبقات هذا الشعب، أو ساءت حالته الاجتماعية.

ولكن لا ضير في أن يحاول أن ينقل صورة ولو جزئية عن واقعه، «فأديبنا ينبغي أن يكون هو الفلاح في كوخه الحقير، وهو العامل الذي يصطلي بنار "الكلون" المتغطرس الجبار، وينبغي أن يكون هو الشخص العاطل المحروم من كل عمل...كما ينبغي أن يكون هو لسان اللغة العربية المعبرة عن حقوقها المهضومة...ويجب عليه أن يكون هو تلك الجموع المشردة من طفولة شعبه التي لم تجد حتى المأوى الذي يقيها الحر والقر»[3].

فالأدب في هذه المرحلة يجب أن يبتعد عن الخيالات الوهمية والصور الشعرية، والزخرفة الموسيقية، والعبارات الرنانة، ويرتبط بروح المقاومة الوطنية لأنه هو الدواء الأنفع لنفوس أنهكتها نار الحرب الدامية, فهو القائد لشعبه والمحرك لقلوبهم وعزائمهم, و«الأدباء في كل زمان ومكان هم قادة الشعب ومحور حالته فإذا سكنوا –كالكهرباء– انطفأت شعلة الحياة في الشعب وكان فريسة للفناء...لذا كان أولئك الأدباء لا يفترون عن مناغاة الطبيعة ومناجاة الوجدان وإنارة العقول والأذهان بمباحثهم العلمية والفنية والأدبية التي تفيض بإخلاصهم ووفائهم للعلم والفن والأدب»[4].

[1]– فلان طُلَعَةٌ إلى الشيء: أي يتطلّع إليه.

[2]– من الأديب؟، أحمد بن ذياب، البصائر، ع 19،(1948/01/12م)، ص154.

[3]– كيف أريد الأدب والأديب؟، عمر بوناب، ص137.

[4]– أدباؤنا والأدب، عيسى معتوقي، البصائر، ع 219،(1953/02/27م)، ص315.

ينبغي على الأديب أن يكون مثقفا عالما بتراث أمته الأدبي مستعينا بأمجادها، ممجدا لمكانتها الأدبية والعلمية، وفي الوقت نفسه معاصرا لأحداث مجتمعه، وعارفا بكل مستجداته الفنية والفكرية، معبرا عن أوجاعه وطموحاته، ومترجما لنهضتها، وباعثا لماضيه، ومثبتا مكانتها بين الأمم والشعوب.

فكم من بلاد ارتبط اسمها بأدبائها الأماجد. فمثلما عُرفت تونس بأبي القاسم الشابي، عُرفت الجزائر بمفدي زكريا والأمير عبد القادر وغيرهما, ذلك أن الأديب يعتبر «قلب الأمة الخافق ولسانها الناطق، وترجمانها الصادق يحس بإحساسها ويصورها في أجل مظاهرها»[1].

وهنا نرى أن علاقة الأديب بمجتمعه علاقة تلازمية ضرورية بعيدا عن مقولة الفن للفن، أو الفن للمتعة، وغيرها... خاصة في تلك الفترة التي كان فيها الأديب لسان حال قومه، حاله في ذلك حال الصحفي والمجاهد وقائد الجيش. ناقلا للخبر ومصورا للأحداث تصويرا حيا. ودافعا بأمته إلى مضمار النضال. أولا ترى أن الثورة التي انفجرت في عنفوانها كان سببها قلم الأديب الذي دفع بالعزائم، وحرر الرقاب من الخوف والرضوخ والاستعباد.

فالأديب الملتزم حاله من حال قومه، وجب عليه أن يخالط قومه، فلا «ينبغي للأديب أن يكون في برج زجاجي ينظر إلى شعبه من عل نظرة السائح المتفرج على بؤسه وشقائه. أريد الأدب أن يكون هادفا إلى ترقية أحوال الناس وأن يكون مساعدا لهم على التطور والارتقاء وعلى السير بالحياة إلى الأمام».[2]

والأدب هو التاريخ الذي تحفظ به الأمم علومها وتسجل عبره أحداثها وحلها وترحالها، وتطلع به على حضارة شعوب أخرى، ومنه نتعلم العبر، ونحمل من تجارب أمم سبقتنا ما فيه الخير، وبه تستقيم النفوس. ونحارب الجهل والفقر والخمول، فهو الداعي إلى تحرير العقول من غفلتها، والرقاب من عبوديتها. والتاريخ يثبت لنا ملوكا أعدموا أدباء بسبب شعرهم، كما يثبت أيضا أن شعراء علا شأنهم، وارتقت مكانتهم بسبب كتاباتهم الأدبية.

ولولا التزام الأديب بقضايا مجتمعه لما قيل عن الشاعر في الجاهلية فلان أشعر من فلان، ولا نسبت القبيلة إلى الشاعر الفلاني. ولا قامت الحروب بسبب بيت من الشعر، يُقال فيكون أكثر شهرةً من نار على علم.

ألا ترى أن الأدباء الجزائريين لم يقفوا هذا الموقف من مجتمعهم، ولم يلتزموا بقضايا أمتهم إلا لأنه الدور الذي يليق بهم، والهدف الذي خلقوا من أجله، خاصة وأن الجزائر تعيش في مرحلة علا فيها صوت الجهل وتزعزع

[1]- أثر الشعر في النهضة المصرية، حمزة بوكوشة، البصائر، ع 178/ 179،(1952/1/7م)، ص346.
[2]- كيف أريد الأدب والأديب؟، عمر بوناب ، ص137.

الأمن، وهذا ما جاء على لسان ابن منصور حين وصف الأديب بقوله إنه: «منار الهداية للضال، وكعبة الأمن للخائف وقبس الأمل للمحتار...قادةُ النهضات وخاضةُ الغمرات حُماةُ المجد وبناة السؤدد ألسن الأوطان... »[1].

وقد عبر الأدباء الجزائريون عن هذه المواقف، ودافعوا عن حقوق شعبهم، ووقفوا وجها لوجه مع المستعمر الغاشم. وإن كان لا يخفى على المتتبع للإبداع الأدبي في الجزائر ما وُسِم به من ضعف وتراجع، وذلك راجع لما شهدته الجزائر من أوضاع شاذة نتيجة للسياسة الفرنسية التي لحقت جميع أفرادها.

هكذا استطاع الأدباء الجزائريون أن يُعلوا من شأن أمتهم، ويضعوا بصمتهم الخاصة في الأدب المغاربي بصفة خاصة، والأدب العربي بصفة عامة، واستطاع النقاد تبعا لذلك أن يقوّموا بعض النصوص الأدبية. ويدفعوا بالكتّاب إلى تقمص روح شعبهم. ويؤكدوا على أن الأدب لن يَخْلُدَ إلا بتخليد أحداث المجتمع السياسية والفنية والفكرية، وجميع نواحيها.

ولكن ارتباط الأديب بهذا الواقع قد يولّد لديه نوعا من التشاؤم وعدم الاستقرار الذاتي. وإن كان في أحيان كثيرة يُشعره بالتفاؤل والأمل خاصة وأنه يعيش في خضم مجموعة من الأحداث المتزامنة. وهذا ما حاول النقاد الجزائريون في تلك الفترة أن يقفوا عنده حتى وإن اختلفت آراؤهم في ذلك.

ثانيا–قضية التفاؤل والتشاؤم

إن الوضعية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في حقبة الاستعمار أفْضَتْ إلى العديد من الأمور، منها ضعف الإنتاج الأدبي، وتراجع مكانة الأدباء الجزائريين بين غيرهم من الأدباء العرب.

وإن كنا لا نستطيع أن نلقي باللوم على الأديب ونحمله مسؤولية ذلك، بقدر ما كان للوضع الذي عاشته الجزائر قبل وبعد حرب التحرير دورا كبيرا في هذا التراجع، فبين الأديب وبيئته الاجتماعية علاقة تأثير وتأثر إلزامية بالحضور والغياب، ولكن هنا نجد نظرة النقاد الجزائريين تختلف وتتراوح بين التشاؤم من هذا الوضع الذي يصفه الكثير منهم بالعجز والصمت والجبن خاصة في ظل الأحداث المتسارعة التي يعيشها المجتمع الجزائري آنذاك، وبين متفائل بمستقبل مشرق لهذا الأدب.

[1]– نحو مؤتمر أدبي جزائري، عبد الوهاب بن منصور، البصائر، ع253،(8/ 1/ 1954م)، ص218.

وبين هذا وذاك. نجد أنه ليس الأمر خاصًا بالأدب الجزائري وحده بحكم حقبة كان يعيشها، فهذا أحمد حسن الزيات في مقاله الذي كتبه في مجلة الرسالة يكتب عن واقع الأدب المصري ويتشاءم من حاضره ومستقبله نظرا لما عرفه ذلك الأدب من تقصير من قِبَل الأدباء الصغار الذين تحكمهم نشوة الإبداع، والذي «اكتفى بقشور لا تمتّ للأدب بصلة ولا تدلّ على تعمّق في البحث ودقة في النظر وغناء في التحصيل ينمقها وينسقها...لا نقف منها على حقيقة ولا نحصل من ورائها ثمرة بل تجدها في الغالب عبارة عن ثرثرة واسعة وشقشقة فارغة كلما أخذت منها طرفا ضاع الطرف الآخر وكلما أقمت لها حجرة انهشم بقيتها»[1].

فالنهضة الأدبية في أي مكان وزمان مرتبطة بمدى وعي الشباب الذين يحملون لواءها، ويقومون على خدمتها ببعث أمجاد الماضي، والاستفادة من الحاضر، والمزج بينهما، لكن كأنّ أدباء تلك الفترة قد عجزوا عن هذا أمام الوضع المزري الذي تعيشه أمتهم. حتى راح النقاد على اختلاف مذاهبهم الفكرية يتهمونهم بالسكوت والخضوع والذل والهوان.

ولعل من أول تلك الآراء ذلك المقال الذي أثار به الناقد عبد الوهاب بن منصور حفيظة العديد من النقاد ودفعهم إلى الكتابة والإفصاح، فجاء مقال ((مالهم لا ينطقون)) كدافع للوقوف أمام ذلك العجز الذي أصاب الأدباء الجزائريين بصفة عامة.

طرح هذا المقال العديد من الأسئلة حول هذا الواقع المتأزم في كل جوانبه، فوقف وقفة الحائر يسأل «هل أصيبت أرحامها بعقم أدبي، فأصبحت لا تلد إلا الأغبياء الأفدام، الذين لا تحسن جماجمهم التفكير وأناملهم حمل الأقلام؟. حالة أدبية تعيسة هاته التي تعيش فيها الجزائر، وأشقياء هم هؤلاء المثقفون من أبنائها الذين لا يبرّونها بالعمل والإنتاج، بل يعقونها العقوق كله بالتفريط والإهمال ويصدّقون فيها شتى الظنون بما يفترون ويكسلون».[2]

فهذا التشاؤم من حالة الأدباء في الجزائر لا يبشر بخير، فالكتّاب أصبح همهم الوحيد – حسب المؤلف – هو توفير لقمة العيش. وحتى وإن ألّفوا فإنهم لا يتبعون قواعد التأليف، ولا يجهدون أنفسهم في البحث عن المعاني. فالناقد هنا يقف من إنتاجهم الأدبي موقف المتشائم، الذي يصف الأدباء الجزائريين بالعقم والتقصير.

---

[1]- نظرة في المستقبل المجهول، عبد المجيد حيرش، البصائر، ع88، (1937/11/26م)، ص302.

[2]- مالهم لا ينطقون، عبد الوهاب بن منصور، البصائر، ع 207، (1952/11/17م)، ص214.

لقيت هذه الدعوة الكثير من المعارضة من قِبَل بعض النقاد، من أمثال أحمد رضا حوحو على وجه الخصوص، الذي دافع عن الأديب الجزائري، وأرجع حالة الخمول التي أصابته إلى التدهور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، فلسان حال الأدباء يقول إن المشاكل المادية والنفسية قد عتّمت على عقول الكتّاب، وأفقدتهم حيوية الإبداع، فيتساءل الأدباء «إذا ألّف أحدنا كتابا ليضعه في رفوف المكتبة الجزائرية الفارغة ووقف محتارا...أين يطبعه؟ ومن يتكلف بطبعه؟ وكيف ينشره ومن يتكلف بتوزيعه وبيعه؟...ثم من أين له النقود اللازمة لنفقات الطبع والنشر الباهضة؟ وهو من الذين تجوز فيهم زكاة الفطر»[1]. ومع أنه يمكن أن نأخذ بهذا العذر الذي يبدوا في جانب من جوانبه صحيحا.

فتضييق الاحتلال على سبيل الحياة في وجه الجزائريين خلّف نوعا من المأساة الفكرية، خاصة أنه ركز في حربه على الجانب الثقافي والديني، ولكن لا ينبغي لمثل هذه الأعذار أن تقف في وجه الإبداع الأدبي، فكما هو معروف إن الكثير من الأدباء العالميين نشأوا في الفقر، وهو الذي دفعهم إلى الإبداع والقدرة على العطاء.

فهذا في نظر العديد من النقاد عذر أقبح من ذنب، وعلى رأسهم عبد الوهاب بن منصور الذي رأى أن الفقر ليس حائلا بين الأديب والإبداع «وما كان طلب الرزق ليصرف أصحاب المواهب عن الكتابة الرفيعة، والتفكير الجيد، ولو كان هذا العذر صحيحا لما رأينا في ميدان الأدب كاتبا يصول...ولما كان حظنا أن نستمتع بآداب صفوة الأدباء القدامى والمعاصرين، لأنهم جلهم ولد في العدم، وترعرع في المتربة، وشب في الإملاق، ومات في الحرمان، فكان الفقر يزيدهم اقتدارا على العمل، ويهبهم ألوان من التصور».[2]

فليس كلُ أديب غنيًا، وليس كلُ ذي علم ذا مال؛ وكلما ارتبط الإبداعُ بوجود المادة قلَّ دوره واضمحل، فأعمال جورج برنارد شو، مثلاً، وغيره لم تكن نابعة من ترف العيش، ورغم ضيق العيش والفقر والعوز إلا أنهم كتبوا أعمالا خلدتهم وارتقت بهم إلى مصاف الروائع الأدبية العالمية.

إن هذه الحالة التي وصف بها بعض النقاد الأدباءَ الجزائريين لم تتوقف عند وصفهم بحالة العقم أو التكاسل بل وصل بهم الأمر إلى أن يتساءل أحدهم عن حقيقة وجود أدباء في الجزائر، وهذا ما نلاحظه في مقال حمزة بوكوشة ((هل في الجزائر شعراء؟)) فهذا التساؤل يحمل العديد من علامات الاستفهام حول حقيقة النهضة الأدبية

---

[1]- مالهم لا ينطقون، أحمد رضا حوحو، ص252.

[2]- لو جدّوا لوجدوا، عبد الوهاب بن منصور، البصائر، ع 222، (1953/03/20م)، ص335.

الجزائرية، بل وحول وجود أدباء مع كثرة الكتّاب، ذلك أنه «إذا أمعن المسؤول النظر فيه وتعمق في فهمه، يجيب معي بقول الشاعر:

إني لأفتح عيني حين أفتحها   على كثير ولكن لا أرى أحدا

وكم من مآس تتجدد، ومهازل تتعدد تحت سماء الجزائر، في السنة مرات، ولم نر من هؤلاء من دونها في شعره كأن في آذانهم وقرا. أو على أبصارهم غشاوة. »[1].

فهذه الحالة من التشاؤم التي نظر بها بعض النقاد إلى الإنتاج الأدبي في الجزائر مردها إلى الوضعية المأساوية للمجتمع، ذلك أن الأديب لن يستطيع أن يبدع فنا كاملا من وسط الوضعية الكارثية التي يعيشها، أو يجد الوقت حتى لتستقيم كلماته وتطمئن حروفه لتسوق دلالاتها أدبا ينبض بالحياة، وربما حتى النقاد أنفسهم لا ينتظرون منهم أكثر مما فعلوا، وإن كان في نقدهم لهم شيء من التحفيز والدفع بهم قدمًا نحو الإبداع.

فالناقد نفسه – حمزة بوكوشة – يعترف بصعوبة الحمل الذي ألقي على الأدباء في وسط بيئة اجتماعية تخلو من كل محفز نفسي أو معنوي، فهو يرى أن الوسط «يُفني العزائم ويخلق الهزائم فالحكم على أدبائنا بالكسل مع عدم مراعاة الظروف التي تكتنفهم فيه شيء من الاعتساف يحدث رد فعل في نفوس الأدباء، والأدباء نفوسهم شفافة، رفقا بالقوارير».[2]

فالأديب شاء أم أبى فهو خاضع لما يعيشه المجتمع من تقلبات وأزمات، وهذا يؤثر فيه ويبرز من خلال كتاباته الإبداعية. فكيف لا تضعف هذه الكتابة والأديب يقف أمام الوضعية الاجتماعية المزرية وأمام نار الاستعمار التي تكتوي بها نفسه. على الرغم من أن هذه الوضعية يجب أن ألا تدفع بالأدباء إلى العقم والتراجع عن مسعاهم. فهذا قد «يجر البلاد إلى كارثة أدبية تطيح بالعربية وتمزق التراث العربي شر ممزق –لا قدر الله– إن لم يسرع الأدباء لتلافي الأمر، ورتق ما انفتق»[3].

---

[1]- هل في الجزائر شعراء؟ حمزة بوكوشة، البصائر، ع85، (1949/7/4م)، ص320.

[2]- شؤون وشجون على هامش سؤال وجوابه، حمزة بوكوشة، البصائر، ع 146، (1951/3/12م)، ص83.

[3]- عقم الأديب، محمد فيلالي، البصائر، ع 306، (1955/2/18م)، ص290.

وهنا قد يحاول الأديب أن يقف أمام هذا الانهزام النفسي ويحافظ على موروث أمته، ويدافع عن دينها وأدبها، لكن يبقى في الأخير إنسانا ضعيفا خاضعا نسبيًا لظروف قاسية، يصارع الحياة الصعبة في وضع يعوزه التشجيع. فالقراء في تلك الفترة قلة، ولا يخفى وضعية الأمة العربية مع المطالعة وهي في بحبوحة من العيش فكيف وهي في نار الحرب تكتوي بها.

هذا وإن الكتاب يكتبون ويتحملون تكاليف الطباعة التي تعتبر أكبر عائق يواجه الأديب مع إنتاجه، كما أن الأمة الجزائرية نفسها لم يكن عندها قابلية كبيرة للنقد ومناقشة المنتج الأدبي، خاصة وأنها ترى في النقد أداة للهدم أكثر منها للبناء، وهذا ما عبر عنه الناقد صالح بوغزال حين عبر عن بؤس وشقاء الأديب الجزائري بقوله «إذا كتب أو شعر، لا يجد من يفهم لغته. ويقدر روحه...ينزوي ويعتزل دنيا القلم والأدب، وينطوي على نفسه ويلوذ بالسكوت، ...ويحكم على نفسه بنفسه، بالعقم والجمود وإمحال الفكر وجدب القريحة، وهو أعرف الناس بقيمتها».[1]

هذه هي النظرة التشاؤمية التي نظر بها بعض النقاد للإنتاج الأدبي في الجزائر، حتى إنه وصل الأمر ببعض منهم إلى نكران وجود أدب في الجزائر، لكن أليس في هذا الموقف إجحاف في حق الأدباء الجزائر؟ خاصة وأنهم ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل كلمة الحق، وكان موقفهم من المستعمر وسياسته بارزا في أعمالهم سواء الشعرية أو النثرية، فلا ينقصهم شيء سوى التحفيز والتشجيع من طرف النقاد والمجتمع.

ثم إننا إذا ما تتبعنا المقالات النقدية التي وردت في جريدة البصائر فإننا نجد أن الكثير منهم كان متفائلا لمستقبل النهضة الأدبية في الجزائر، بل وحتى أن أصحاب النظرة التشاؤمية تراجعوا عن تشاؤمهم. فهذا عبد الوهاب بن منصور يعترف بحبر قلمه بأن في الجزائر أدباء لا يستهان بمكانتهم. وهو الذي دعا إلى إقامة مؤتمر أدبي يلم شمل هؤلاء الأدباء.

يقول عبد الوهاب بن منصور معترفا بمكانة أدباء الجزائر: «لست متشائما ولا بائسا فأزعم أن الجزائر خالية من الأدب، خاوية من الأدباء، كما يحدو اليأسُ ببعضهم أن يقول، فالواقع يثبت لنا عكس هذا، والعيان يؤكد لنا أن فيها الشاعر الفحل، والكاتب البليغ، والخطيب المصقع، والباحث المطلع، والمتخيل البارع، والمثقف النابغ، والمفكر العبقري».[2]

---

[1]- حول مالهم لا ينطقون؟، صالح بوغزال، البصائر، ع 216، (1953/02/6م), ص287.

[2]- نحو مؤتمر أدبي جزائري، عبد الوهاب بن منصور, ص218.

الجزائر رغم حالتها المأساوية وقف أدباؤها يستنهضون الآمال في مجتمعهم، وينقلون المعارف، ويشاركون العالم تطوراته المعرفية والأدبية، وقد أنْحَى باللوم أحد الكتاب على النقاد وكبار الأدباء في تقصيرهم عن نصح الأدباء خاصة الشباب منهم فقال: «فنحن ينقصنا التوجيه في كل شيء ولن نجد موجها رشيدا ذا رأي سديد مثلكم، ولكنا لا نقركم على وصفنا بالكسل، وإن جرتم أنتم فإن أبا العلاء المعري يدفع عنا هذه الوصمة بقوله:

نلوم على تبلدها قلوبا تكابد من معيشتها جهادا

إذا ما النار لم تطعم ضراما فأوشك أن تمر بها رمادا»[1]

فتشجيع الأدباء وتوجيههم إلى الصواب هو الطريق الأمثل لنهضة أدبية تضاهي نظيراتها في البلاد العربية وصقل مواهب كانت قد أصدأتها الحالة الاجتماعية البائسة. ولا ننسى أن الأديب إنسان ضعيف مثله مثل الجميع، فهو حتى لو كان قويا اعتراه الضعف، وكاملا اعتراه النقص.

فلا يجب أن يعاب عليه ضعفه أو سكوته في لحظة ما، وهذا ما صرح به الأديب أحمد سحنون في رده على النقاد في مقاله "سكوت الشاعر" حيث يقول: «وإن الشعر كالكلام له دواع وله أسباب، وإن للشاعر ظروفا خاصة كالناس له الحق في أن يكتمها عن الناس، وإن الشاعر إنسان يدركه ضعف الإنسان في كثير من الأحيان بل لعله معرّض للضعف أكثر من كل إنسان، لأنه مرهف الحس دقيق الشعور يقظ الوجدان فلماذا لا تنصفون الشاعر وهو أولى بالإنصاف؟».[2]

إن الشعر إلهام، وهو وحي من عاطفة إنسانية، وهذه العاطفة مرتبطة بالشاعر وما يعيشه من أحداث. ورغم كل ما عاشه الأديب الجزائري من أوضاع متوترة ومن أزمات مادية ومعنوية إلا أنه لا يمكن أن ننكر حقيقة وجود الأدب الجزائري خاصة ما كتبه الإبراهيمي وابن باديس وغيرهما، «وكل أولئك الرجال يعرفون قيمة الواجب، وإتقان الأعمال، فلم يكونوا يقصّرون في إخلاصهم للمهنة التي ينالون منها الرزق الحلال، والتفكير في تحسين وسائلها، ولفت الأنظار إليها، وتحقيق نفعها، وربحها، كما أنهم لم يكونوا يقصرون في خدمة الأدب ونصرة الثقافة، والضرب بسهم في معترك العلم»[3].

---

[1]- شؤون وشجون على هامش سؤال وجوابه، حمزة بوكوشة، ص83.

[2]- سكوت الشاعر، أحمد سحنون، البصائر، ع 212، (1953/1/9م)، ص 255.

[3]- لو جدّوا لوجدوا، عبد الوهاب بن منصور, ص335.

فلا يمكن أن نخفي هذه الجهود التي قام بها هؤلاء العلماء في ميدان العلم والأدب، وما قدموه في سبيل أن يشرق فجر جديد لنهضة أدبية قوامها إمكانيات فنية تساير الجديد وتستفيد من القديم، وهذا لا يتحقق إلا بالتشجيع من طرف المجتمع والنقاد على حد سواء، ذلك أنه يعتبر دافعا مهم من دوافع التطوير الذاتي للأدباء.

هذا التشجيع يحفزهم أيضًا على المضي قدما، والتنافس فيما بينهم لترتقي الكلمة الأدبية ويعلو شأن العلم والعلماء. ذلك أن «التشجيع يخلق جوا من الحركية والتنافس بين الأدباء، سواء كان التشجيع ماديا أو معنويا والأديب في الحقيقة في حاجة إلى التشجيع المادي والمعنوي، لأن الأول يوفر له ما يعينه على مواجهة متطلبات الحياة، والثاني يشعره بالدفء والسند. والتشجيعان معا يرفعان من معنوياته، و يدفعانه إلى مزيد من التحصيل الثقافي، ومزيد من الخلق والإبداع».[1]

التنكر من بعض النقاد لمسيرة الأدباء في الجزائر أمر لا يمكن أن يقبل كما هو، فالأدب قد يعتريه بعض النقص. ومن التشاؤم الحكم على النتاج الأدبي دون النظر إلى ما يمر به الأديب ومجتمعه، ذلك أنه لو نظرنا إلى نتاج تلك الفترة سواء من الناحية الأدبية أو العلمية لشكرناهم على ما قدموه من تضحية ونضال رغم البيئة الاجتماعية الشديدة التي أصابتهم في كثير من الأحيان بالهوان. غير أنهم ظلوا متفائلين مسترشدين، الأواخر منهم بما قدمه الأوائل، فكيف لجيل تحكمه الطريقة الإبراهيمية[2] في الكتابة أن يعجز عن إبداع الجديد فهي بمثابة «منارة كل كاتب وكل أديب وكل باحث، وأينا يجهل فضل هذه الطريقة في تهذيب الأدب وتوجيهه، لا...بل كلنا يعرف أنها أضافت إليه لونا أنيقا مشرقا فيه فطرة العربي وعبقرية الفيلسوف وحنكة السياسي وذوق الأديب وإخلاص المؤمن ووفاء الغريم، وأينا ليس بغريم لهذه الطريقة المبتكرة في الأدب أسلوبا وتفكيرا».[3]

ومن هنا مهما كان موقف النقاد من النهضة الأدبية في الجزائر فإنه لا يمكن أن نعتبرها نهضة عاجزة كل العجز عن تكوين مكانة لنفسها، كما لا يمكن أن نعتبرها نهضة فاقت قريناتها في بلاد المشرق والمغرب. فما لاحظنا من خلال آراء النقاد المتباينة في موقفهم من الأزمة الأدبية والثقافية، أنها مرتبطة بأسباب تعود إلى الواقع المتأزم الذي عاشه الأديب ومجتمعه، وإلى ما عرفوه من عجز في أساليب النهضة في شتى الميادين خاصة في مجال الصحافة باعتبارها محرك الأمم والرابط بين الشعوب والتي وقفت عاجزة عن استيعاب ثورة الجزائر المباركة، وما سبقها أو تلاها من أحداث.

---

[1]- النقد الأدبي الجزائري الحديث، عمار بن زايد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص69.

[2] - الطريقة الإبراهيمية نسبة إلى محمد البشير الإبراهيمي، ويُقصد بها الطريقة المتميزة بإشراق العبارة، وقوة الأسلوب.

[3]- أدباؤنا والأدب، عيسى معتوقي، البصائر، ع 221، (1953/3/13م)، ص327.

ومهما كان موقف النقاد متباينا فإنه لا يمكن أن تعتبر هذه المرحلة من تاريخ الأدب الجزائري إلا كما وصفها الناقد المكي النعماني الذي رأى أن «الأدب الجزائري في فترة انتقالية فلابد أن يمتحن وفي نفس الوقت يجب أن يكون قويا، وصحيحا، إن أدباء الجزائر في حاضرهم يبنون جسرا يمر عليه الأدب العربي الجزائري إلى الأجيال القادمة ولابد لهذا الجسر أن يعد بسواعد قوية وبتصميم كامل فوق دعائم راسخة ومتينة وأننا في ذلك لمسئولون نحن الثلاثة: المجتمع والأدباء والقراء وهكذا يشرفنا جميعا الاعتراف وهذا الاعتراف يقظة تدفع بنا جميعا إلى العمل متآزرين غير متخاذلين متيقنين غير مترددين».[1]

هذه النهضة التي تحدث عنها المتفائلون تكمن فيما قدمه أدباء من أمثال محمد العيد خليفة، وأحمد رضا حوحو، وأحمد سحنون، وغيرهم، وإن كانت اعترتهم بعض الهفوات سواء منهم أو من غيرهم إلا أن هذا لا يجب أن يبتعد بنا كثيرا عن حقيقة الدور الطلائعي الذي قدمه أدباء البصائر أو غيرهم في سبيل النهضة بالأدب الجزائري.

ثالثا–قضية السرقات الأدبية

لقد طرحت قضية السرقات الأدبية بشكل ملحوظ عند نقاد جريدة البصائر. وقد استنكروا هذه الظاهرة كما استنكرها النقاد القدامى من قبلهم. فهذه القضية لم تطرح حديثا في النقد الجزائري بشكل خاص أو النقد العربي بصفة عامة أو حتى في النقد الغربي، ومنه النقد الفرنسي. ذلك أنه مع بداية القرن السابع عشر ظهرت هذه الظاهرة بحدة وبرزت بشكل ملحوظ، وأصبحت من القضايا التي يخشاها الأدباء فإن «الكاتب الذي يختلس مرة واحدة تسقط قيمته عند المراقب الذي هو بمثابة الحارس».[2]

فالسرقة الأدبية[3] أمر مذموم في نظر النقاد أو الأدباء أو حتى القراء على حد سواء. فهو يضعف الإنتاج الأدبي، ويذهب هيبة الأديب ويجعله من المتطفلين على الكتابة، فيغذوا إنتاجه الأدبي هزيل التركيب. متشتت المعنى غير قادر على الخلق والإبداع، فيتكلف النظم ويصطنع الوزن. فتبدو ألفاظه غير معبرة ولا مركبة تركيبا يصلح أن نطلق عليه أدبا. فيكون كمن عبر عنه بعض النقاد بوصفهم له أنه لا يرتقي إلى مرتبة الأدباء؛ فهو نصف

---

[1]– أدباء الجزائر ما لهم وما عليهم، المكي النعماني، البصائر، ع215، (1953/1/30م)، ص279.

[2]– الأدب والاختلاس، مراقب المراقب، البصائر، ع 153، (1939/2/18م)، ص103.

[3] – المقصود بالسرقة الأدبية هنا مجرد إغارة الأديب على نص غيره، وهي بخلاف السرقة الفنية التي تسمى في المصطلح المعاصر: التناص.

الأديب الذي ما «برح يتصيد ألفاظها من هنا وهناك, من الجرائد السيارة، وأوراق الدعاية، وينسقها تنسيقا يتناسب وفكرته ثم يقدمها للقراء غير عابئ بعد ذلك بسخطهم أو رضاهم»[1].

ولعل من أبرز حالات الاختلاس التي ذكرها النقاد في جريدة البصائر تلك السرقة الأدبية التي تحدث عن مقال السيد محمد الحسين الورتلاني ((احتفال جمعية كشافة الرجاء بباتنة)) والذي رأى فيه أنه ضمنه بعض المعاني والجمل التي حملها مقاله الذي سبق هذا المقال، والذي تناول فيه هو الآخر وصف إحدى الحفلات التربوية بمدينة قسنطينة، وهو هنا لا يتهم الرجل من دون دليل، بل نجده يسوق لنا نص الحديث المختلس ليؤكد صحة ادعائه فيقول: «"فارتفع الستار عنهما في لباسهما الرسمي وفي شكل حركات الجندية بأعوادهما ونظاماتهما الخصوصية فقامتا بدورين فريدين في بابهما". وقال هو: "ارتفع الستار فدخلت فرقت الكشافة في شكل حركة الجندية بأعوادها ونظاماتها الخصوصية فقامت تنشد"».[2]

وهنا يقف المتأمل على النص على حقيقة السرقة التي قام بها محمد الحسن الورتلاني، فعند قراءتنا للمقال كاملا نجد أنه يختلس فقرة بمعانيها وألفاظها.

ربما يكون سكوت الأدباء عن هؤلاء وأمثالهم هو ما زاد في جرأتهم على مثل هذا الفعل الشنيع. فلو وقف لهم النقاد بالمرصاد لما كان لمثل هذه الكتابة أن تكتب وتسمى أدبا، ولَعَلِمُوا أن «الأدب فوق ما في أنفسكم الصغيرة وأعلى من هممكم الفاترة وأرقى من مكسوباتكم الضئيلة فإن كان لك شيء في هذه الصناعة غير ما سمعناه فأتوا به وإلا فاعلموا أن بضاعتكم قد نودي عليها بالكساد فلن تروج بعد في أسواق الأدب ولن تنفق عند الأدباء»[3].

فالأدب أرقى من أن ينسب إلى مختلس أو سارق، فرسالة الأدب شريفة في كل عصر من العصور وهو أمانة وجب الحفاظ عليها. ووجب على حامليها الترفع عن مثل هذه الزلات، حتى لا يسجل التاريخ اسمه ضمن قائمة طفيليّي الكتابة، فيجب ألا ينسيء الأديب أو يتناسى أن التاريخ يقف له بالمرصاد، فليس الغاية من الكتابة أن يصطنع لنفسه مُلكا أو لقبا يُمجَّد به بين الشعوب، بل هدف الأديب أعظم من ذلك.

---

[1]- عقم الأديب، محمد الفيلالي، البصائر، ع 306، (1955/2/18م)، ص290.

[2]- اختلاس أدبي، الشاب المراقب، البصائر، ع 145، (1938/12/23م)، ص42.

[3]- الأدب في نظر أدعيائه، الجيلاني بن محمد الأصنامي، البصائر، ع 108، (1938/4/15م)، ص154.

الأدب نصوص شريفة تحمل غايات نبيلة، فلما تغافل بعض الكتاب عن هذه الحقيقة، جعلوا النقاد يصرخون عليهم علنا ليتهموهم بالسرقة كما هو حال الشيخ الرابحي الذي اتهمه ابن عبدون بقوله: «الشيخ الرابحي رئيس قسم الفتوى لجامعة (الميعاد الطرقي) مختلس...وهذه حقيقة ملموسة ولا أظنه يحاول إنكارها وإن كان فيها قطع يده».[1]

وهذا الاتهام ليس باطلا، فقد أقيمت العديد من المقالات في حق الأديب الرابحي تتهمه بالسرقة الأدبية والسطو على الإبداع الأدبي للآخرين. يسوق لنا (ابن عبدون)[2] هنا مثالا عن سرقاته في مقال له بعنوان: « ((الشيخ الرابحي)) فمنه يقول الرابحي في رثائه لمفتي البليدة:

الدهر يفجع بعد الوصل بالوتر   فما البكاء يمجد كل ذي حذر

وقلت أنا من قبل أن يخلق الرابحي:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر   فما البكاء على الأشباح والصور»[3].

فمثل هذه الاختلاسات لا تضفي على الإبداع الأدبي أي جديد بل تزيده ضعفا وركاكة. ويأتي نظمه بعيد المعنى، ركيك الجمل والتراكيب لا يحمل فكرة جديدة، ولا ينسب للأدب في شيء.

كما أن هذا الأديب يسيء لسمعته، ومكانته الأدبية، ليوصف أدبه كما وُصف أدب الرابحي من قِبَل الناقد (ابن عبدون) حين قال: «لو تتبعنا ما في المنظومة من سلخ ومسخ واختلال في الوزن واختلاف في القوافي وفساد في المعنى لعلم القراء أجمعون حتى الرابحي أن منظومته ركيكة في لفظها والمعنى كقوله والطاحنات طحنا»[4]

فمثل هذا النظم مذموم وعالة على الإبداع الأدبي. فلو عَرف أمثال هؤلاء الأدباء أنهم بمثل هذه الكتابة يُسيئون للأدب من حيث أرادوا إحسانا لسكتوا، ولكان سكوتهم أفضل لهم وللإنتاج الفكري والفني. فأين لمثل

---

[1]- الشيخ الرابحي، (ابن عبدون)، البصائر، ع119، (1938/6/24م)، ص246.

[2] – (ابن عبدون) هو في الأصل اسم الشاعر الأندلسي عبد المجيد بن عبدون اليابري، توفي عام 529هـ، صاحب المرثية الشهيرة (الدهر يفجع بعد العين بالأثر) في رثاء المتوكل بن الأفطس. وقد اتخذ أحدُ كتاب البصائر اسمَ هذا الشاعر توقيعًا له، في رده على الشيخ الرابحي.

[3]- الشيخ الرابحي، (ابن عبدون), ص246.

[4]- المصدر نفسه،ص246.

هؤلاء الكتاب أن يضيفوا جديدا للنهضة الأدبية، وهم لم يلتزموا حتى قواعد الإبداع الأولى، ولم يحترموا أفكار غيرهم.

وهذه القضية، قضية السرقات الأدبية، لم تقتصر على الشعر وحده بل كان أيضا للنثر نصيب منها وهذا ما تحدث عنه الناقد (ابن عبدون) أيضا في مقاله: ((الرابحي رابع الشعراء ما اكتفى بسرقة الشعر/ سرقة النثر)) حيث اتهم فيها الأديب الرابحي بسرقة بعض الجمل من كتاب شرح التلخيص لسعد الدين التفتزاني فيقول: «وهذه سرقة نثرية وهي قوله مما يشترك فيه الفصيح والأعجم والشاعر والمفحم. فهذه الجملة نفسها من كلام شارح التلخيص أدمجها الرابحي في كلامه ليقال أنها منه».[1]

غير أن هناك من النقاد والأدباء من لم يسكت على هذه السرقات وانتقد أصحابها سواء من ناحية الوزن والقافية، أو من ناحية تراكيب الجمل ومعانيها، رغم مكابرة أصحابها. فهذا ابن عبدون يرد على الشيخ الرابحي بقوله: «هل اتضح لك خطأك أم لا زِلتَ مصرا عليه مكابرًا تهجم من دون معرفة على من أحسن إليك وأرشدك إلى هفواتك؟ وهذا من جهة الوزن فقط شيء قليل من كثير».[2]

إن الأديب خير له أن يقال عنه أديب مبتدئ لا يحسن توظيف المعاني والجمل من أن يقال عنه إنه شيخ الأدباء في الانتحال والسرقات الأدبية ويجرم باسم القوانين, ويصبح عالة على الأدب، إن «سوق الأدب لا تنفع فيه شفاعة الشفعاء والقبض على أذيال السادة والرؤساء»[3]، فالأديب الحق يعرف كيف يسوق معانيه، ويعبر عن فكرته غير مخل بمعنى، وغير منتحل لكلام غيره.

تحدثت جريدة البصائر عن قضايا نقدية كثيرة، منها: الالتزام، التشاؤم والتفاؤل، والسرقات الأدبية وغيرها من القضايا النقدية، ومهما كان موقف النقاد منها واختلاف آرائهم حولها، إلا أن لهذه الجريدة جهدها النقدي الحيوي، وبصمتها الخاصة وطابعها النقدي والأدبي الذي تميزت به في فترة كان فيها الأدب آخر ما يمكن أن يطلب من الإنسان أن يفكر فيه.

غير أن تلك الأعمال التي وجدت في تلك المرحلة الغاصبة تثبت مكانة الأديب الجزائري وقدرته على العطاء حتى في أحلك الظروف، فلا يمكن لأي كان أن ينكر وجود أدب أو نقد جزائري في المرحلة الحديثة.

---

[1]- الرابحي رابع الشعراء ما اكتفى بسرقة الشعر/ سرقة النثر، ابن عبدون، البصائر، ع 123، (1938/7/22م)، ص276.
[2]- وقاحة الرابحي لا البصائر، أخ ابن عبدون، البصائر، ع125، (1938/8/5م)، ص290.
[3]- الرابحي يهوى على أم رأسه، ابن عبدون، البصائر، ع 127، (1938/08/19م)، ص309.

فالمطلع على جريدة البصائر وحدها يدرك هذا الكم الهائل الذي تزخر به الجزائر من ملكات فكرية أدبية وعلمية على اختلاف توجهات الكتاب ومذاهبهم. ورغم هذا الاختلاف في التوجهات إلا أنهم خاضوا في قضايا العصر وشاركوا العالم في مستجداته وطرائقه في الكتابة الأدبية، فمنهم من كان يرى أن الأدب يجب أن يسير على نهج الأوائل، ومنهم من أكد على ضرورة مسايرة الأدب لمستجدات العصر؛ وبين هذا الموقف وذاك يبرز التنوع والاختلاف والحيوية.

المبحث الثاني: اتجاهات النقد الجزائري الحديث:

أولا-الاتجاه التقليدي:

إن الأدب العربي القديم يعد أحد منابع الأدب والشعر الجزائري الحديث، الذي يمدّه بقوة البيان، وجزالة اللفظ، ومتانة التراكيب، وصفاء اللغة العربية، التي لا يمكن أن نرتقي بها إلا إذا اقتدى أبناؤها بأسلافهم في نظم روائع الشعر، وسبك القصائد الطوال التي طالما عُرفت بقوة لفظها ومعناها. وهذا ما تنبه له نقاد جريدة البصائر الذين دعوا إلى المحافظة على نهج القصيدة القديمة في نظمها ووزنها وقوافيها، ونهج الأدب التقليدي في بلاغة خطابه ورصانة أسلوبه.

فالنهضة الأدبية في الجزائر لا يمكن أن تتم إلا إذا كانت قائمة على أسس من التراث العربي القديم، ذلك أنه في «انصرافهم عن هذه الكنوز وانكبابهم على الغث المضر من الأدب الصحفي كأدب الصاوي ومن على غراره من الأدباء الذين يستوحون الغرائز المنحطة ويمجون ما امتصوه كالاسفنجة من مجون أوروبا وحمأتها – هو الذي جعلهم على التأخر في البلاغة وعلى الضعف في السليقة وعلى الفسولة في التفكير– ولن تقوم لهم قائمة في البيان ما داموا يقتصرون على تلك المراتع الوخيمة في الأدب»[1].

فهؤلاء النقاد يرون أن في انبهار الأدباء بالآداب الأجنبية يعود إلى عجزهم عن امتلاك ناصية البلاغة والبيان العربي الذي يقوم عليه الإبداع الأدبي. وقد وصل الأمر بالبعض منهم إلى نكران الشعراء والأدباء الذين يحتكون بالثقافات الأخرى غير العربية، لأن في ذلك إضعاف لملكته الفكرية التي ورثها عن أجداده، خاصة إذا تعلق الأمر بالثقافة الفرنسية.

ففي نظرهم ثقافة المستعمر سعت إلى القضاء على مقومات العروبة داخل الجزائر، لذلك وجب على الأدباء أن يحاربوها ويتمسكوا بتراثهم الذي يعتبر المرجع الأوفر في اللغة العربية وأساليبها وبلاغتها، فهذا الأمر وحده كفيل بأن يضمن للجزائر نهضتها الأدبية والفكرية التي «أخذت تستقر على سوق ثابتة وإلى وجهة صحيحة، موفقة، متحررة من التقليد للأجانب، الناشئ من الانبهار بمظاهر العظمة الغربية، مستلهمة الينابيع الصافية الأولى للروح الصريحة العربية».[2]

---

[1]- من أسباب ضعفنا في الأدب2، محمد علي، البصائر، ع249، (1953/12/4م)، ص191.
[2]- عبقر اثنا عشر نشيدًا، محمد الحاج الناصر، البصائر، ع 162، (1951/7/2م)، ص215.

هذه النهضة لا تتم إلا إذا حفظ الشباب تاريخهم العربي، واطلعوا على نحوه وعروضه وحكمه وأمثاله. وحفظوا كتبهم وعرفوا حكمة المتنبي، وعبقرية عنترة، وخمريات أبي نواس، وغاصوا في بيان الجاحظ، وأحسوا بإحساس الخنساء، وعاشوا مع أدب غير هؤلاء الذين من مثلهم يُستمد الأدب الحق، وعمود الشعر، وأصالة النثر وفصاحة اللسان.

دعا الإبراهيمي في افتتاحية البصائر في سنتها الثانية الكتاب إلى أن يعلوا بمستواهم، ويجعلوا كتاباتهم الأدبية في مستوى جريدتهم التي تعتبر مظهرا للبيان العربي الأصيل.[1] فمحمد البشير الإبراهيمي يؤكد في نقده للأدباء على الناحية اللغوية التي لا يمكن أن يمتلكها الأديب إلا إذا حرص على مطالعة الكتب القيمة، وأن لا يقنعوا بما لديهم من الكتب التي تدرّس لهم، فهي غير كفيلة بتنمية ملكاتهم وصقل مواهبهم. بل عليهم أن يطالعوا ما تيسر لهم من كتب الأوائل، فذلك يُعلي من ذائقتهم الأدبية.

ضِف إلى ذلك ما ورد من أمثال وحكم فإن ذلك كله جدير بأن يربي ملكاتهم الفكرية، فذلك «أدنى أن تستحكم الملكة، وتنقاد القريحة، فتجري الأقلام على سداد، ويمدها الفكر من تلك المعاني بأمداد، وتوضع الكلمات من الجمل، في موضع اللآلئ من العقد، وما جاء حسن العقد منظوما، إلا من حسن المنثور ثم تكون الحكم والأمثال والنكت كفواصل الجمل في العقود الثمان»[2].

فشعراء الجزائر اليوم في نظر أصحاب النظرة التقليدية باتوا يكتبون أشعارا جوفاء على اختلاف ألفاظها ومعانيها، لا تمت للعربية والبيان بصلة، إلا من حيث تركيب جملها. وهي فارغة من المعاني التي يجب عليها أن تعبر عنها، وكان الجدير بها أن تقتدي بقصائد فحول الشعراء, الذين يعدون المثل الذي يقتدى به في نظم القصائد وسبك معانيها, لأن ذلك ينمي الثروة الفكرية، ويغذي الملكة البيانية التي فقدها الأدباء بسبب اتباعهم للحرية والتجديد في العمل الأدبي.

وهو ما أفضى بالكتاب إلى تشويه الأدب الذي نجم عن ضعف العربية عندهم، وركاكة نظم قصائدهم التي لا تستقيم كما يجب أن تكون إلا بتمرين قريحتهم على أساليب البلغاء، وحفظ وفهم المعاجم، والاطلاع على الخطب ذات اللغة العالية، وكتب اللغة من أمثال فقه اللغة, ودواوين الشعراء الجاهليين وغيرهم، وأن يلزموا روح المتنبي التي «تساير جميع العصور، وتتماشى وسائر الأجيال على اختلاف نزعاتها، وكأنها وليدة كل زمن، تتمخض

---

[1]- ينظر: افتتاحية البصائر، البشير الإبراهيمي، ع 2، (1947/8/1م), ص5.

[2]- سؤال وجوابه، محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، ع 143، (1951/2/19م), ص59.

بها صروفه المتتابعة لتتجنب الناس أخطارها ومواقع الزلل منها، وتخطو بالعقول خطوات بعيدة المدى في سبيل الرقي والانفلات من تقاليد العبودية، وتنفخ في الأمم المتعاقبة رعشة الحياة وتهيب بأبنائها أن يفتكوا النصر من جبين الأسد والفوز من قبة الفلك»[1].

فالشاعر يستطيع أن يعبر عن قضية الوطنية ونزعات عصره ويقيدها بقلمه العربي القح، دون أن يحيد عن تراث أجداده في تتبع منابع البلاغة والبيان وسحر الأسلوب والتركيب، ففي تقليدهم للشعراء الفحول اكتساب للقدرة على الإبداع والعطاء، وفيه نهل من ماضي الأمة الخصب الغني بالحياة، الذي خلد بخلود شعرائها الذين صالوا وجالوا في ميدان الأدب، وعبروا عن البادية وخيامها، كما وصفوا المدينة ودورها وقصورها، والحروب وأهوالها، والمجتمع وتفكيره.

وقد كانت الدعوة إلى التمسك بالتراث العربي القديم، نتيجة لما عاشته الجزائر من أوضاع مزرية خاصة الوضع الثقافي الذي حاربته فرنسا بكل الوسائل، لتجعل الأمة الجزائرية أمة بلا ماضي حتى يسهل عليها فرنستها والقضاء على مقوماتها من دين ولغة، لتتمكن من القضاء تماما على السيادة الوطنية.

فالأمة التي لا ماضي ولا حاضر لها، لا مستقبل لها؛ وهذا ما أدركه أصحاب الاتجاه التقليدي في تلك الفترة فسعوا إلى بعث ماضيهم المجيد، والمحافظة على تراثهم العربي الأصيل الذي كان فيه «الأدباء يفتنّون في النقد الشعري ويتحاسبون في اختيار الألفاظ المؤدية لمعنى أبلغ وغرض أنسب حتى أصبح - النقد بطول المران وكثرة الدربة - كصناعة يرتاض عليها الأدباء»[2].

وهذا الضرب هو الذي يجب أن يحتذيه شعراء اليوم، فيعرفوا لغتهم على أصولها، ومواضع البلاغة وأسرارها لأن ذلك سيجعل أدبهم ينبض بالحياة.

ومن النقاد من أكد على دور جريدة البصائر في هذا التوجه لاسيما أنها هي لسان حال الأمة. ومنها تستمد المعارف والعلوم، وقد أكد فرحات الدراجي في مقاله: ((البيان العربي في الجزائر)) على هذا الدور بقوله:

---

[1]- المتنبي بين شباب الأمس واليوم، عبد العزيز قروف، البصائر، ع130، (1950/9/11م), ص329.

[2]- الأحاجي في الأدب العربي2، أحمد الشريف السنوسي، البصائر، ع141/140، (1951/02/05م), ص48.

«فواجب الجمعية أن تذيع البلاغة العربية والبيان العربي، وتعمل على نشرهما في كتاباتها وخطبها وصحفها ومنشوراتها... »[1].

البصائر منبر من المنابر الإعلامية والتعليمية التي يستنير بها الشعب الجزائري، وبالتالي فهي قادرة على الإسهام في بعث روح التراث العربي القديم. وقد استطاع محمد البشير الإبراهيمي أن يسهم في تحقيق هذا المطلب لجريدة البصائر من خلال دعوته الكتاب إلى الاقتداء بآثار الأولين، ونشر مقالات وقصائد تصب في هذا المنحى، ومن خلال مقالاته هو نفسه التي امتاز أسلوبها بالسلاسة والقوة.

فهو الذي وسم «"جريدة البصائر" في الأربعينيات والخمسينيات بسمة مميزة أفردتها من بين الصحف العربية الجزائرية الأخرى، حين قصد إلى أن يجعلها معرضا راقيا للغة العربية في الألفاظ والمعاني والأساليب، ومَجْلَى للفصاحة والبلاغة في نمطها العالي، وهو يقصد من وراء ذلك إلى أن تكون جريدة جمعية العلماء مثالا لا يحتذيه الطلاب كتابا وشعراءَ».[2]

وبهذا أصبحت الدعوة إلى الكتابة الصحيحة في لغتها، الرصينة في تركيبها، العميقة في تفكيرها، السامية في أهدافها، المقتبسة من تراثها، أمرا ملحًّا لبعث الشعب الجزائري، وتخليصه من القيود التي كبله الاستعمار بها وحاول أن يشوه امتداده التاريخي الضارب الجذور في الماضي.

لكن هذه النظرة الداعية للرجوع للتراث بقوة، فُهم منها أنها محاولة للرجوع بنا إلى الوقوف على الأطلال في القصيدة، والتقاليد الشعرية الجاهلية، لذلك لم تجد هذه الدعوة التراثية صدى عند بعض الأدباء في تلك الفترة، التي كانت في نظرهم فترة تجديد وحرية من القيود، فلا المكان والزمان يقبلان منا أن نتكلم على طريقة المعلقات، ولا بأسلوب عنترة أو المتنبي أو سواهما، خاصة في فترة صار فيها الشاعر مطالبا بأن نتحدث عن مشكلات عصره وأحلامه وتطلعات أمته إلى المجد و العلياء في ظل ما يعرف من تطورات في العلوم والمعارف، وفي ظل ظروف سياسية تستدعي الدعوة إلى الانعتاق من الاحتلال.

ومن هؤلاء النقاد أحمد رضا حوحو الذي وقف في وجه هذه الدعوة، الدعوة إلى التقليد، ليرد عليه في حينه عبد الوهاب بن منصور بقوله: «أيحب أحدهم أن يحمل قلمه ليكتب مقالا ركيك اللفظ بسيط المعنى

---

[1]- البيان العربي شعار البصائر، فرحات الدراجي, البصائر، ع3، (1947/8/8م), ص25.

[2]- الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925م-1975م، محمد ناصر، عالم المعرفة، المحمدية، الجزائر، 2013م. 1/ 50.

مشتملا على سبع وسبعين غلطة من غلطات بملء فيها، وتقول له إنه صنوُ ابن العميد ومحيي طريقة الجاحظ وعبد الحميد؟ أم يريد أن يعرض بعض النظريات المبتذلة التي سبقه بها عكاشات[1] شرقيون، وآخرون غربيون»[2].

يرفض عبد الوهاب بن منصور هذه الركاكة التي يتسم بها الأدب، فالضعف الذي لحق بأدبهم ناجم في نظره عن ضعف مستواهم اللغوي، ولابد لهم أن يعودوا لتعلم قرض الشعر، ويحفظوا المتون اللغوية، منبها إلى ما وصل إليه الأدباء الشرقيون من نهضة أدبية.

فلا ينبغي للأديب أن يغفل عن أهمية القواعد اللغوية للكتابة، والقوانين العروضية في صياغة الإبداع الشعري؛ وهو في مقاله ((لو جدّوا لوجدوا)) يطلب من الأدباء أن يقتدوا بآثار العقاد وطه حسين وغيرهما من أدباء المشرق الذين ذاع صيتهم في الكتابة الأدبية، فيقول: «ألا تعلمون أنهم قضوا في الكتابة أكثر من نصف قرن، وأن منهم من كان أديبا ذائع الصيت ذا طريقة في الكتابة، ومذهب في التفكير، قبل أن يخرج الكثير منكم من عالم الأرحام، وما هذا الغرور؟ والمرء لو أراد أن يعد المقالات التي كتبوها لألفاها أكثر من الأيام التي عشتموها».[3]

ويبدوا أن الناقد هنا معجب كل الإعجاب بأدباء المشرق العربي، ويبدو أنه عاتب على أدباء الجزائر ضعفهم، منبّها في الوقت نفسه على أن بلوغ المجد لا يأتي صدفة، بل ذلك يلزمه طول النفس، والتأني في الخلق والإبداع.

وهذا ما يتجسد في شخصية الأدباء المشارقة، فهو يرى أن الأديب الحق هو من يكافح في سبيل كلمته بصبر، فيقول: «إن طه حسين والعقاد لم يبلغا الذرى ولم يصلا إلى الفهم قفزة واحدة من السفوح المنخفضة، إلى الشماريخ المرتفعة، وإنما بلغاه، وأدركا ما أدركاه، بعد السير الطويل والسعي المتواصل، وكلاهما كتب مقالاته الأولى ركيكة سقيمة، واعتنى فيها أكثر ما اعتنى بالمحسنات البديعية والتفننات اللفظية»[4].

[1] – إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة: (سبقك بها عُكاشة).

[2]– لو جدوا لوجدوا2، عبد الوهاب بن منصور، البصائر، ع 220، (1953/3/6م)، ص319.

[3]– المصدر نفسه، ص319.

[4]– المصدر نفسه، ص319.

وهذه النظرة العميقة التي نجدها عند عبد الوهاب بن منصور في أدب طه حسين والعقاد، والتي تنم عن فهم واضح لسيرتهما الأدبية، جعلته يتخذهما قدوة، وأنه يجب على الأدباء الجزائريين أن ينتهجوا منهجهما ويأخذوا من أدبهما العبرة، وأن يدركوا أن العلا في الأدب ليس بالأمر اليسير.

ومهما تكن هذه الآراء النقدية التي أشاد بها أصحاب الاتجاه التقليدي فإنها تقدم خدمة للأدب للرقي به والمحافظة على جماله وروعته، إلا أنه لا ينبغي أن نعتبرها وحدها كافية لتحقيق نهضة أدبية، وهذا ما أكده نقاد كثر لاسيما أحمد رضا حوحو، وحمود رمضان، وغيرهما، من الذين رأوا في هذا التقليد صنما يقف حجر عثرة أمام تقدم الأدب ومواكبته للحداثة.

ثانيا–اتجاه التجديد

إن الدعوة إلى التمسك بالاتجاه التقليدي لم يشجع مسار الأدباء والنقاد في الجزائر المتطلعين إلى التجديد والتطوير، خاصة في ظل ركود الحركة الأدبية، هذا في الحين الذي يرى الدارسون ما يحيط بهم من تيارات نقدية وأدبية حديثة كالرومانسية والواقعية، وهي الحركات التي كانت مسيطرة على فكر الأقلام والمنابر في المشرق العربي وغيره.

إن النقاد في هذه الحركة كان همهم الوحيد هو مسايرة أحداث العصر، وأن يكون الشعر ناقلا لهذه الأحداث، ومعبرا عن خلجات النفس وإحساساتها، ومن هنا أيضا راحوا يعبرون عن تبرمهم من هذه القصائد التي تنظم على وزن وقافية، وبطريقة ما حفظوه من الشعراء القدامى من معلقات وقصائد طوال، في جو تضيع فيه مواهبهم الخاصة, وملكاتهم الفكرية.

وفي ظل هذا التجاذب بين التقليد والتجديد راح بعض النقاد المجددين يربط نهضة الجزائر الأدبية بأن تكون آخذة من كل الاتجاهات والمذاهب الحديثة التي عرفها غيرهم, ومن أشد هؤلاء النقاد انتقادا للمذهب التقليدي الأديب أحمد رضا حوحو الذي وقف من هذه القصائد وأصحابها موقفا رافضا ومنتقدًا، فهم في رأيه عبارة عن أصنام لا يجب أن نعبدها ونستكين لها، بل علينا أن «ننزل عليها بمعاولنا دون هوادة ولا شفقة، وأن ننشئ أدبا وفنا حيين».[1]

[1]– الآداب الفنون، أحمد رضا حوحو، البصائر، ع 53، (1948/10/18م)، ص62.

فمثل هذه الآداب هي في نظر أحمد رضا حوحو وغيره من الأدباء لم تعد تصلح لروح العصر، والتعبير عن مشاكله وأزماته، خاصة في فترة كان الفرد الجزائري يعيش أزمة اجتماعية ونفسية وسياسية خانقة. وليس له الوقت لأن يجلس لتنقيح القصائد، كما أن المجتمع لا تسمح له الظروف الحالكة التي يعيشها بأن تكون له الأذن النافذة، والقلوب الواعية التي تميز بين الجيد والرديء من الكتابات، بل إن كل ما يحتاجه الأدباء في تلك الفترة التي يتصارع فيها الإنسان مع الموت، هو تلك الآداب الحية التي عرفتها الآداب الغربية من مثل كتابات فيكتور هيغو ولامارتين وغيرهما من الكتّاب العالميين الذين ارتبطت كتاباتهم بالقضايا الإنسانية.

مادام الأديب يتأثر بمجتمعه ويؤثر فيه، ويسخر قلمه لمعالجة قضاياه، ويقوده إلى المثل العليا، ويدفعه عن الرذيلة والمذلة «وكل ذلك لما كان لأدبهم من حياة واتصال بأجزاء الشعب على اختلاف طبقاته، وأنهم ما أدركوا المقام الذي اشتهروا إلا بما أعطوه لأدبهم من تنوع، وإنهم جذبوا القراء، بسعة خيالهم، وكثرة إبداعهم، وغزارة الاختراع، ومن يبحث قليلا في تاريخ حياتهم، يجد أنهم وصلوا إلى ذلك باستمرار هم على المطالعة. والعجب أن هؤلاء الأدباء لم يكونوا مقتصرين على مطالعة كتب في مخصوص معين، بل إنهم كانوا يهتمون بكل كتاب في كل فن، وكذلك ساغ لهم أن يكون لهم عدد كبير من القراء والأتباع»[1].

وبمثل هذه الكتابات يستطيع الكتاب أن يكون لهم صوت مسموع لدى جمهورهم، فهم يعبرون عن واقعهم المتأزم، وعن تشاؤمهم اتجاه الواقع والمجتمع الذي تحكمه سياسة استعمارية سوداوية، فالأديب ابن بيئته وهو مرتبط في أدبه بتلك المرحلة التاريخية التي تحكمه هو، وتحكم أدبَهُ، الموجهة لخدمة الشعب، ودفعه نحو حياة أفضل بأساليب بسيطة مفهومة، مادام هو رسول الأمة وخادمها، وبمثل هذه الكتابات التي يدفع بها الأدباء الناس إلى القراءة والمطالعة لأنها تمس أوجاعهم،وتعبر عن نفوسهم، الطامحة يستطيع أن يبلغ رسالته. أما أن يكون الأديب في كتاباته مقرونا فقط بأسرار البلاغة وأساليب البيان والبديع فهو سيكون هنا بعيدا عن اهتمامات مجتمعه.

فالكاتب يجب أن يخدم المجتمع بجميع طبقاته وفئاته التي فيها المتعلم والجاهل الذي لا يعلم عن البيان العربي إلا النادر اليسير، إن التركيز على اللغة الفخمة والانشغال بالصور البيانية والمحسنات البديعية يُضيع جسرَ التواصل بين الأدباء والقراء الذين يعيشون زمنا غير زمن المتنبي وامرئ القيس وأمثالهم. فلغة هذا الزمن غير لغة أولئك، «إذ لا يعقل أن تكون لغة امرئ القيس والمهلهل وطرفة هي اللغة التي يستخدمها أدباء القرن

[1]- الأدب وفوائده، التلمساني2، البصائر، ع 124، (1938/7/29م)، ص301.

العشرين...اللغة كائن حي يتطور بتطور الإنسان والمدينة. فتسقط كلمات لتتحول إلى مجرد كلمات تراثية تحفظها كتب اللغة، والمصنفات القاموسية، وترتفع أخرى إلى مستوى الاستعمال، لأن الحاجة هي التي اقتضتها، ويظل التبسيط والاقتصاد والدقة طابعا مميزا في مسيرة اللغة، وفي علاقاتها بالأدباء والجمهور على حد سواء»[1].

فالوضع الاجتماعي للشعب الجزائري كان يتطلب أدبًا يواكبه ويعبر عنه، أما المحافظة على أصالة اللغة العربية التي نجدها في كتابات أدباء وشعراء العصور الماضية فكانت تشغل أحيانًا عن تلك المواكبة.

والأديب إذ يكتب أدبه فإنه لا يكتبه لنفسه إنما يوجهه لمجتمعه الذي لا يمكنه في ظروفه الحالكة أن يستوعب الغموض الناتج من اللغة البيانية الفخمة القائمة على الاستعارات والمجازات والألفاظ اللغوية البليغة.

حمّل المجددون الأدباءَ عِبْءَ هذا التجديد، ودفعوهم إلى أن يتأثروا بكل الحركات الثقافية والأدبية التي تستجد في عصرهم، ومن هؤلاء الناقد أحمد الغوالمي الذي يدعوا الأدباء بشكل صريح إلى هذا التجديد في الكتابة إذ يقول: «وكم أتمنى لأديبنا أن يسمو بأدبه لفظا ومعنى متماشيا مع تطورات العصور وحوادث الشعب، حتى يكون أدبه منظار صافيا، لما تنطوي عليه أشعة أفكار شعبه، وخصائص قيمه الأخلاقية».[2]

هكذا تتحقق للجزائر نهضتها الأدبية التي تسمو بها إلى الأدب الحقيقي، وترقى إلى مصاف الأدباء المشارقة الذين ذاع صيتهم في كل مكان.

نظر بعض المجددين إلى الشعر القديم على أنه هيكل فات وانقضى زمانه، ولم يعد يملك الروح القادرة على التعبير عن إحساسات شعراء اليوم الذين يوصفون بالحيوية في أدبهم، وبات الأديب المجدد اليوم يترفع عن الأوزان والبحور، ولا يشغل نفسه فقط بقواعد النحو الصارمة، ذلك أن «الشعر لم يعد ذلك الكلام الموزون المقفى والكتابة لم تعد تلك الألفاظ الرنانة، والتراكيب الصحيحة...نعم إن هذه الموارد ضرورية لكل أدب وفن، ولكنها ليست هي الأدب والفن، فما هي إلا هيكل تنقصه الروح»[3].

فالأديب يجب أن يرتبط بإحساس الشاعر المرهف، وصدق التعبير، وغزارة الخيال، وقوة العاطفة، لأنه موجه إلى القلوب التي لا يحكمها إلا التعبير الصادق، والإحساس المرهف، واللفظ الصريح تارة، واللماح تارة أخرى

[1]- النقد الأدبي الجزائري الحديث، ص111.
[2]- الاتجاه في الأدب، أحمد الغوالمي، البصائر، ع112، (1950/3/20م)، ص185.
[3]- الآداب والفنون، أحمد رضا حوحو, ص62.

وهذا ما نلحظه من خلال قصائد الشعراء التي جاءت في جريدة البصائر، من أمثال عبد الكريم العقون، والطاهر بوشوشي، ومبارك جلواح العباسي، وغيرهم.

فهؤلاء تمثلوا المدرسة الرومانسية بكل ملامحها، واتخذوا من البحر والليل والطبيعة ملجأ لهم للتعبير عن إحساساتهم المرهفة، التي هي أَوْلَى بالاحتضان من تلك الجثة الميتة كما عبّر أحمد رضا حوحو عن القصيدة التقليدية، والذي حذر الأدباء من الاستمرار في «نفخ تلك الجثة الميتة، والسير على غرار تلك الطريقة التقليدية جمل مرصوصة نسميها مقالات نثر، وكلام منظوم مقفى نسميه قصائد شعر، أما الروح، أما الحيوية، أما الابتكار أما المذاهب الجديدة في الأدب، فكل ذلك لا نلتفت إليه ولا نُعْنَى به».[1]

فقد وجد هؤلاء الأدباء ما يناسب إحساساتهم في تلك المذاهب التي أتاحت لهم ما ينمون به مواهبهم الفكرية واللغوية، وتبتعد بهم عن ظلال العبودية التي أجبرهم التقليديون على الرضوخ لها والكتابة على نهجها.

إن مثل هذه المدارس التي سايرت روح العصر وحدها كفيلة بأن تتيح للشاعر الإفصاح عن مكنوناته وأفكاره، التي قد تحرمه صعوبة البلاغة والبيان من إظهارها، فيضيّع الشاعر في البحث عن اللفظ المناسب والمعنى الجوهري المكنون.

كما أن زمن البداوة وأسواق الأدب انتهى، والعصر عصر السرعة والتقدم، فلا يناسبه التأني في اللفظ وصياغة الشعر العمودي والمحافظة على الروي والقافية، فهذا قد يُذهب جهدَ الأديب ووقته، على عكس المذاهب الأدبية الأخرى التي تتيح لنا أن نلمس «روح الشاعر مسرورة نشوى، تكاد تثب من خلال كل بيت أو في حيرة من الألم، ولذعة من مر الشكوى، إن كان الشاعر مكلوم القلب».[2]

فعناية الأديب بشؤون مجتمعه وتأدية رسالته لا تتحقق له إلا من خلال النزول إلى مستوى شعبه والتعايش مع وضعه ونكباته. ذلك أن التغني بالأمجاد وفحول الشعراء لم يعد يجدي نفعا، بل على الأدباء أن يطلعوا على الآداب الأجنبية ويطالعوها، ويحفظوا من اللغات ما تيسر لهم منها. ويمتلكوا من الثقافة ما به يرتفع مقام أدبهم ويلبس حلة جديدة. بعيدة عن التقليد والتصنع، فمثل هذه الأعمال الأجنبية كفيلة بأن تفتح لهم أبواب الأدب الذي يعالج القضايا الإنسانية في سموها، ويحمل التطور الحضاري والفني في أسمى صوره.

[1]- المصدر السابق، ص62.

[2]- وحي الشاعرية، ابن ذياب أحمد، البصائر، ع153، (1939/2/18م), ص103.

وهذا الرأي الذي تبناه أحمد رضا حوحو في حديثه عن المدارس الأدبية التي يجب على الأديب أن ينقاد لتعليماتها، وينهل منها مختلف المعارف والمواهب التي تتيح له أن يرتقي بمواهبه إلى العلو فيصير بذلك مع أفذاذ الأدباء؛ فرأيه أن «من الواجب معالجتها ودراستها والسير على غرارها، ومن العبث إهمالها، لأنه لم يكن لنا حظ إيجادها وخلقها، ومن التعصب الذميم أن ننكر النافع الجيد من مذاهب الغير في الآداب لأن صاحب هذا المذهب أو ذاك لا يمت إلينا بصلة».[1]

إن هذه المذاهب الأدبية في نظر حوحو كفيلة بأن تحقق لنا الغاية المرجوة من وراء رسالة الأديب، وذلك تبعا لما تقدمه من حرية في الإبداع للكاتب، وما تحيطه به من ألوان فنية وأدبية تعبر عن روح العصر أكثر من كونها تعبيرًا عما أكل الدهر عليه وشرب. وإن كان أحمد رضا حوحو هنا لا يقصد التقليل من قيمة القصيدة العربية وما صاحَبَها من أجناس أدبية، ولكنه ينكر على الأدباء أن يحشروا أنفسهم في زاوية الماضي، ويبتعدوا عن الحاضر وما يحمله من ألوان التعبير، وهذا يخلق فجوة بين الأدب والمجتمع.

وهذا الموقف قد سبقه إليه رمضان حمود حين تحدث في مجلة الشهاب في مقاله ((حقيقة الشعر وفوائده)) عن هذه النظرة التقليدية التي لا تزيد الأدب إلا ضيقا واختناقا، وذلك حين تحصره في زاوية الوزن والقافية وما شابههما؛ وهو في هذا يقول: «الشعر تيار كهربائي مركزه الروح وخيال لطيف تقذفه النفس، لا دخل للوزن ولا للقافية في ماهيته، وغاية أمرهما إنهما تحسينات لفظية اقتضاها الذوق والجمال في التركيب لا في المعنى، كالماء لا يزيده الإناء الجميل عذوبة ولا ملوحة وإنما حفظا وصيانة من التلاشي والسيلان، فعلى تلك السُنّة وذلك المجرى وضع العرب ديوانهم».[2]

فالشعر في نظر رمضان حمود هو تعبير عن خلجات النفس ومشاعرها، ولا علاقة له بحفظ قواعد النحو والصرف والعروض وغيرها. فكم من مجيد لها خاب في صياغة بيت من الشعر، وكم من شعراء فحول نظموا القصائد الطوال ولم يدرسوا عروضا أو يتبعوا منهجا. فالشعر يكمن في نفس الأديب يصوغه ليعبر به عن متطلبات الحياة في ذلك العصر الذي يعيشه، ولا يمكن لأي شخص أن يفرض عليه سلطة العصور التي سبقتها أو التي ستتلوها، فكلٌ يجري وَفْقَ متطلباته الفكرية والأدبية.

[1]- الآداب والفنون، أحمد رضا حوحو، ص62.

[2]- حقيقة الشعر وفوائده، رمضان حمود، الشهاب، ع 82، (1927/2/3م)، ص790.

والأدب في نظر المجددين إبداع تجود به قريحة الأديب، وهو نابع من آلامه التي تعصر نفسه فيصبها في كلمات ينظمها على إيقاع الموسيقى التي تحكم القصيدة، أو يصبها في شكل نثري مناسب للموضوع الذي هو بصدده. فالأدب ما هو إلا ذلك الشعور الكامن في النفس والذي لا يحس به إلا الشاعر المجيد الذي هو مخلوق يسمو إلى العلى، ويشقى في سبيل ذلك؛ وهو بهذا «يسعد ويتلذذ على حساب نفسه وصحته، ينحت متعته من عقله وجسمه، يجد في ألوان العذاب لذة، ويجد كذلك في ضروب الشقاء متعة، بل يجد في هذه الآلام التي يقاسيها، وهذه المآسي التي يعيش في أكنافها، نبراسا ينير تفكيره، ويكشف له من زيف الحياة وغشها»[1].

إن الأديب إنسان لا يشبه الناس، فهو يحترف ليضيء حياة غيره، وبه تنير الأمم مسار تاريخها. وتسجلُ بواسطته أحداثَها مع إضفاء طابع الخيال عليها. وهذا الطابع هو الذي طُبِعَ به أدب المشارقة الشيء الذي دفع بأدباء الجزائر إلى تمجيد أعمالهم الأدبية، والتأكيد على ضرورة المضيء على نهجهم الذي يمثل الحياة بأسمى معانيها.

إن هذه النظرة للأدب العربي القديم على أنه يشكل عائقا أمام الإبداع الأدبي، وحاجزا في ظل نهضة أدبية تواكب عصر الحضارة والتطور، وتجعل الأدباء يقبعون في حيز الماضي لم يتفرد بها أدباء ونقاد جريدة البصائر بل دعمهم في ذلك كتاب من أمثال محمد الهادي السنوسي في كتابه شعراء الجزائر في العصر الحاضر، وبشكل خاص رمضان حمود الذي ملأ مجلة الشهاب بآرائه النقدية التي تدعم هذا التجديد، بدعوته إلى الحرية في الإبداع الأدبي.

مهما كان موقف هؤلاء الأدباء والنقاد العاملين على التجديد من المحافظين المقلدين للأدب العربي القديم القديم، ومهما كان رفضهم الشديد لامتثال الأدباء وانشغالهم لقواعد الأدب الصارمة. إلا أن هذا لا يعني أنهم لا يؤمنون بما لديهم من تراث زاخر في ميدان الأدب، بل قصدوا من وراء موقفهم ذلك لفت الانتباه إلا أن الأدب يعبر عن روح عصره، وعن خلجات صاحبه.

ومقصود المجددين ليس معاداة القديم ولكن يريدون أن هذا التجديد لا يمكن أن يتحقق لهم إلا إذا تمرسوا بما في وقتهم من مذاهب فنية أدبية تعكس روح عصرهم، وتجعلهم في مصاف الأدباء والشعراء الأفذاذ الذين تلبسوا بأثواب الحداثة التي كانت شيئا لابد منه، لخلق نهضة أدبية تليق بمستواهم الفني، وتحمل مضامين عصرهم وتسجل أحداثه وتطلعاته، وتعكس هموم الأمة.

[1]- الأدباء والفنانون، أحمد رضا حوحو، البصائر، ع 55، (1948/11/08م)، ص83.

ومن خلال استعراض مختلف هذه الآراء النقدية لهؤلاء الأدباء لاحظنا إعجابهم بالمذاهب الأدبية التي كانت سائدة في تلك الفترة، لاسيما الرومانسية منها لأنها أتاحت لهم أن يعبروا عن إرادتهم في دفع الأدب الجزائري إلى الأمام، وحققوا بذلك «نتائج باهرة، وخطى جريئة سديدة في الشعر والنثر بالقطر الجزائري»[1].

فهذه التوترات النفسية التي مر بها الأدباء الجزائريون ساهمت بشكل كبير في إتاحة الفرصة لهم في التعبير عن واقعهم المتأزم، فجاءت كتاباتهم صرخات صادقة في تعبيرها عن هذا الواقع.

ثالثا–الاتجاه الفني

لقد ركز النقاد الجزائريون عامة، ونقاد جريدة البصائر بشكل خاص على الجانب الفني في كتابات الأدباء وخصّوه بشيء من النقد والتوجيه، خاصة في ظل الدعوة إلى التجديد والنهوض بالأدب شكلا (القصيدة الحرة) ومضمونا (الدعوة إلى التقيد بالمذاهب الأدبية الجديدة)، وقد ارتكز النقد في هذا الجانب على اللغة والأسلوب باعتبارهما من الركائز المهمة التي يسموا بها الأدب، فيتسم بصدق العاطفة والتأثير في المتلقين.

إن الأدب يعبر عن خلجات النفس وإحساساتها المختلفة، وهذه السمة قد تميز بها أدباء الجزائر مثل غيرهم، ولا ينقصهم سوى التوجيه والتقويم لتستقيم ألفاظهم وتتناسق معانيهم، وهذا ما حاول النقاد أن يقفوا عنده لينبّهوا الأدباء إلى هذا الطابع السطحي التي تتسم به كتاباتهم، والذي وسم أدبهم بالضعف، ذلك أن «المباشرة والخطابة في الأدب الجزائري واحدة من أكبر نقاط الضعف فيه. والسبب في ذلك لا يعود إلى شيء آخر أبعد من التكوين الثقافي للأديب نفسه. وهو تكوين تقليدي يختص بعلوم اللغة والدين، وبالتراث العربي القديم. وهذا ما بدا واضحا في قصائدهم. وأصبغ عليها طابع المباشرة والتقريرية التي تصل في معظم قصائدهم إلى مستوى لغة الصحافة، والحديث العادي. والذي يعطي هذه القصائد صبغة الشاعرية إنما هو ما فيها من وزن وقافية».[2]

وهذا الضعف الذي لحق بالأدب الجزائري في تلك الفترة نابع من ضعف الجانب الثقافي، الذي نجم عن سياسية الاستعمار التي طالت كل مجالات ومراكز الإشعاع الثقافي، من زوايا ومساجد ومدارس ومراكز ثقافية. وإلى جانب هذا نجد أيضا اهتمام الأدباء بالألفاظ وصياغتها اهتمامًا طاغيًا، ولهذا نجد العديد من النقاد قد وقفوا من بعض هذه الآداب التي كتبت في تلك الفترة، موقف الرافض لهذا النوع من الكتابة التي كادت أن تطغى على أسلوب الكتّاب جميعا.

---

[1]– التوتر النفسي والنهضات الأدبية، رابح بونار، البصائر، ع 270، (1954/5/7م)، ص357.

[2]– النقد الجزائري الحديث، ص115.

ومن أمثال هذه المواقف، موقف أبو القاسم سعد الله من قصة ((مع حمار الحكيم)) لأحمد رضا حوحو فقد تعرض لها بالنقد والتقويم، معلقا على أسلوبه بالسطحية والضعف، واصفا إياها بقوله: «تلك السطحية البارزة هي التي سيطرت على قلم المؤلف ومشاعره وروحه الجماعية، فضعف فنه، وفترت أشعته بين ظلال الخريف الباردة، ذلك أن الاستنباط وطول النفس في البحث والاستغراق في التقاط الصور المفعمة بالحياة، هي المنزع الوحيد إلى الروعة الفنية التي أبتغيها، والتي يجب على العبقري أن يصهر بحثه في ألوانها وظلالها لتقويم الأسلوب الصحيح». [1]

فهذا الأسلوب الذي شاع في كتب رضا حوحو وغيره من الأدباء، ناتج عن القلق والاضطراب النفسي الذي عاشه المجتمع الجزائري في تلك الفترة التي ملأته تشاؤما، فكان هدفه هو التعبير عن حالة أمته. ولم يكن هذا الكاتب سائرًا لوحده في هذه الطريق، فقد جاءت بعض الأعمال في ذلك الوقت متسمةً بشيء من الضعف في الأسلوب والركاكة.

هذا وإن السعي نحو التجديد كان ضروريًا لشيوع المبالغة في التصوير البياني والمحسنات البديعية، والتكلف في اللفظ، ولذلك نتج عن التجديد وُجدت التورية والرمز في أعمالهم، باعتبارهم معبّرين عن واقعهم ذي الظروف الخاصة، فاعتنوا بالفكرة، وأهملوا الجانب المكوّن لهذه الفكرة وهو الأسلوب، وهذا ما صرّح به مفدي زكريا في ديوانه الشعري إذ يقول: « لم أُعْنَ في اللهب المقدس بالفن والصناعة عنايتي بالتعبئة الثورية، وتصوير وجه الجزائر الحقيقي، بريشة من عروق قلبي، غمستها في جراحاته المطلولة، والشعر الحق في نظري إلهام لا فن، وعفوية لا صناعة»[2]

والمتأمل لأغلب المواضيع الأدبية في تلك الفترة يجدها قد غلب عليها طابع الواقعية، إذ لا تعدوا أن تكون عبارة عن مقالات صحفية تقريرية، تمتاز بالسرعة وعدم الاستقرار الذي كان يعيشه الأدباء آنذاك، فجاء أدبهم «استجابة فورية للمناسبة العابرة، وهذا بالذات يعني أن الشاعر إنما كان يكتب قصائده تحت إلحاح الانفعال

[1]- في ظلال النقد مع حمار الحكيم، أبو القاسم سعد الله، البصائر، ع 250، (1953/12/11م)، ص199.
[2]- اللهب المقدس، مفدي زكريا، بيروت، 1961م، ص4.

الثائر، حين يطلب من الشاعر الأصيل ألا يكتب تحت الشعور الثائر، لأن قوة الانفعال وثورة الشعور لا يتوفر معها إنتاج فني ذو قيمة»[1]

فالأديب في فترة الاستعمار كان لا يملك الوقت للتأمل في الطبيعة والاستسلام للمشاعر ليصوغ لنا أدبا ذا أصالة فنية، وبيان عربي، فكل ما كان يصبو إليه الأدباء هو تسجيل أحداث تلك الفترة الدامية في تاريخهم، وأن يدفعوا بالأمة إلى النهوض بنفسها، فبفضل الأدب انفجرت الثورة، وبفضله تحررت الأمم من قيود الذل والهوان فهو بذلك اللحن الشجي الذي يحملهم على استنهاض هممهم.

وهذا الهدف جعل معظم النقاد في تلك الفترة يبتعدون بشكل أو بآخر عن الجانب الفني الأسلوبي في الأدب، وإن كان هذا يقلل من قيمة الأدب في رسالته الفنية، ويجعل بعض النقاد يقفون من هذا الأدب بين القبول والرفض.

وهذا ما نلحظه في مقال عبد الوهاب بن منصور عن شعر الأمير عبد القادر الذي رأى أنه «شعر متوسط ليس له من صقل اللفظ ولا من روعة المعنى ما لأشعار الفحول من قدامى ومحدثين، وقد يُسِفُّ الأميرُ أحيانا إسفافا كبيرا لفظا ومعنى، فيرتكب من عيوب العروض ما يُعاب ارتكابُه، ويأتي من مخالفات القواعد النحوية بما يُستقبحُ إتيانه، ويفخر أحيانا بما تستعيذ نفوسُ الناس وألسنتُهم اليومَ بالله من الاتصاف به، فضلا عن الفخر بالاتصاف به، على أنه في بعض القطع والقصائد يحسن ويجيد، وقد يجمع بين النقيضين في القصيدة الواحدة فنجد الغثّ بجانب السمين، والهلهل تحت الرصين المتين»[2].

وهذا التنبيه من طرف عبد الوهاب بن منصور، على ما في أشعار الأمير عبد القادر من هفوات، لا يعني أنه لم يلتزم باللفظ الجيد وسحر البيان، لكنه مثل شعراء تلك الفترة التي طبعتهم بطابع الضعف والركاكة في الإبداع أحيانا.

ومهما كان من نقص في هذه الإبداعات الأدبية التي مثلت الأدب الجزائري الحديث، إلا أنه يجب أن نبحث لهؤلاء الأدباء عن العذر، لأن كتاباتهم جاءت استجابة لفترة معينة طبعت إنتاجهم بطابع التاريخية، وكان عبارة عن مذكرات وتقارير موضوعية، والأدباء أنفسهم يشعرون بهذا الضعف الفني الذي اتسمت به أعمالهم

---

[1]- الشعر الجزائري من الرومانسية إلى الثورية 1925-1962، محمد صالح ناصر، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، محي الدين، الجزائر، د.ط، د.ت، ص212.

[2]- نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، عبد الوهاب بن منصور، البصائر، ع191، (1952/5/26م), ص87.

ولكنهم لا يملكون سبيلا إلى تغييره «ذلك أننا نجد أغلب الشعراء في هذه الفترة يصرخون بأنهم على وعي كامل بهذا النقص في شعرهم، ولكنهم ارتضوه مقابل الاستجابة لما يتطلبه منهم الموقف الثوري من لغة مباشرة حماسية»[1].

والجانب الفني في آراء مختلف النقاد الذين تناولوه يعتريه شيء من النقص، وإن وجد عند بعض الكتاب فإنه يكون عبارة عن كنايات واستعارات قد لا تخدم الغرض الذي وُضِعت له، والمعنى الذي صيغت لأجله، وقد نجد من النقاد من ناقش بعض الكتابات الإبداعية لاسيما القصائد الشعرية في بعض المفردات التي وضعت جزافا مثلما نجد في قصيدة الأمير عبد القادر التي يتوسل فيها إلى الله. والتي تناولها الناقد عبد الوهاب بن منصور بالنقد والدراسة، والتي رأى فيها أنها «دعاء عاديا ليس لها جرس الشعر ولا رنته، ولا روعة المعنى ولا رقته»[2]

ولا يقف هذا الرأي على عبد الوهاب بن منصور وحده، بل نجد غيره مثل الناقد أحمد بن عزوز في مقاله ((قصيدة الزاهري))[3]، وأبو القاسم سعد الله في نقده لأحمد رضا حوحو بشأن قصصه التي نشرها في جريدة البصائر، ووصفها بالسذاجة والبساطة والسطحية؛ قال: «غثاثة ظاهرة نشأ عنها ثقل المعاودة والتكرار، تمويه الكاتب بما يملك من نواصي الألفاظ حتى يشعر القارئ أنه يقول عن تجربة وممارسة. ونتيجة لذلك يسمو هذا الضعف الفني الذي نلحظه في غير عناء»[4].

والمتتبع لآراء الناقد أبو القاسم سعد الله حول كتاب "مع حمار الحكيم"، يلاحظ تركيزه على الجانب الفني في النقد والتقويم الذي يهدف من ورائه إلى خدمة الأدب، ملفتًا انتباه الأدباء إلى ضرورة الارتقاء بكتاباتهم الفنية.

ومهما كانت مواقف هؤلاء النقاد من الكتابات التي مثلت مرحلة الأدب الجزائري الحديث، فإنها تبقى مجرد آراء قد تتسم بالموضوعية أحيانًا، كما يمكن أن يعتريها شيء من الذاتية في الحكم. فيقبل شيء منها، كما قد يُردّ بعضها، ذلك أن للأديب هدفه وغايته من كتابته الأدبية التي تحكمها ظروفه الاجتماعية والسياسية وغيرها.

[1]- الشعر الجزائري من الرومانسية إلى الثورية 1925-1962، ص212.

[2]- نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، عبد الوهاب بن منصور، ص71.

[3]- ينظر القصيدة في مجلة الشهاب، العدد 18، (1926/3/11), ص372.

[4]- مع حمار الحكيم، أبو القاسم سعد الله، البصائر، ع 250، (1953/12/11م), ص199.

وهذه الظروف تؤدي دورا أساسيًا في رسم معالم هذه الكتابات التي لها اعتبارُها في تلك الفترة الغاصبة، وللناقد كذلك أن يُقدم حكمه وتقييمه الذي يسعى من ورائه إلى أن يسموا بالأدب، حتى يستطيع تحقيق رسالته، وتصحيح المعوجّ، ودعم الصحيح، في سبيل محاولة الوصول إلى (الكمال) الذي يعد غاية كل أديب.

إن جريدة البصائر كانت منبرا من منابر إعلاء صوت الأدب، والنهوض به من حضيض الصنعة والتكلف إلى الأدب العالي، الذي يسمو بمعانيه، ويمزج بين بلاغة المضمون وجمال الشكل وروعته.

والدارس للأدب الجزائري في مختلف مراحله لا يمكن أن يستغني عن هذه المرحلة باعتبارها تمثل البذرة الأولى لتطور هذا الأدب، مهما اختلفت اتجاهاته وتعددت قضاياه؛ فبين متشائم ومتفائل، ومقلد ومجدد، يجد الأدب ما يدفعه إلى المحافظة على روح القديم منه، مع مسايرة مختلف مراحل حياته.

خاتمة

نرى لزاما علينا –كما جرت بذلك سنة البحث – أن نسجل أهم النتائج التي توصلنا إليها في حدود ما استطعنا إنجازه و التي نوجزها فيما يلي:

1. إن تنوع الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في الجزائر خلّف نوعا من الوعي لدى الشعب الجزائري، لاسيما في أوائل القرن العشرين، ذلك أن الأدباء و الكُتّاب كان همهم الوحيد هو تعبئة الشعب لمواجهة الاحتلال.
2. لقد أسهمت المنابر الإعلامية في الجزائر بشكل كبير في بلورة الوعي الجماعي لدى الشعب الجزائري خاصة الفئة المثقفة منهم، الشيء الذي دفعهم إلى الإبداع كمتنفس في هذا الواقع المأساوي.
3. اتسمت الأعمال الإبداعية الأدبية في أوائل القرن العشرين بطابع ثوري تاريخي، لأنها نابعة من واقع الأدباء المتأزم، مما فرض هذا النوع من الكتابة.
4. بفضل تلك البعثات العلمية والرحلات استطاع الأدباء الجزائريون أن يسايروا الركب الأدبي في العالم العربي والغربي ويستلهموا معطيات جديد.
5. تنوعت القضايا النقدية في جريدة البصائر بتنوع ثقافات ومعارف أدبائها الذين أكَّدوا على ضرورة التزام الأديب بقضايا مجتمعه ووطنه.
6. إن قضية التفاؤل والتشاؤم عند النقاد تبرز لنا طبيعة واقع الإبداع الأدبي والنقدي في الجزائر المتأثر بالوسط الذي هو فيه في تلك الفترة.
7. أثار الناقد الذي وقع كتابته النقدية باسم: "ابن عبدون" قضية السرقات الأدبية التي تخلّ بالعمل الأدبي وتحط من قيمته الإبداعية والفنية، فكانت مقالاته عن الرابحي بمثابة تنبيها للأدباء للحد من هذه الظاهرة وتوعيتهم بخطورتها.
8. تنوعت اتجاهات النقد الجزائري الحديث بتنوع مشارب النقاد الفكرية والأدبية بين مقلد ومجدد، واختلفت آراء نقاد جريدة البصائر تبعا لذلك فاستطاعوا أن يحافظوا على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري.
9. لقد كان لاختلاف آراء وأفكار النقاد الجزائريين الذين ضمتهم جريدة البصائر أثر بارز على مسار النقد الجزائري، ويظهر ذلك من خلال المقالات النقدية، وردود بعضهم على بعض، وما اتسمت به من جدة في الطرح والمعالجة وما عرفته من تنوع فكري.

10. من خلال تتبعنا لبعض المقالات النقدية في جريدة البصائر يظهر مدى اهتمام النقاد الجزائريين بالمضمون على حساب الشكل الأدبي الفني للأعمال الإبداعية.

فهرسة الموضوعات

الموضوع

إهـــداء

شكر وعرفان

مقدمة...أ- ب-ج

الفصل الأول: الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية وأهم المنابر قبيل صدور البصائر.....

المبحث الأول: الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية قبيل صدور البصائر:

أولا: الوضع السياسي..5

ثانيا: الوضع الاجتماعي..9

ثالثا: الوضع الثقافي..15

المبحث الثاني: أهم المنابر الإعلامية التي ساهمت في الحركة الأدبية في الجزائر قبيل صدور البصائر:

أولا: الجمعيات...23

1-الجمعيات التي أسست داخل الجزائر.................................23

2-الجمعيات الخيرية..27

3-الجمعيات الرياضية..29

4-الجمعيات الفنية...29

5-الجمعيات التي تأسست خارج الجزائر...............................30

ثانيا: النوادي...32

ثالثا: الصحف والمجلات والكتب:..37

1-الصحف..37

2-المجلات..46

3-الكتب..48

الفصل الثاني: قضايا النقد الجزائري الحديث واتجاهاته من خلال البصائر....

المبحث الأول: قضايا النقد الجزائري الحديث:

أولا: قضية الالتزام...52

ثانيا: قضية التفاؤل والتشاؤم...56

ثالثا: قضية السرقات الأدبية...63

المبحث الثاني: اتجاهات النقد الجزائري الحديث:

أولا: الاتجاه التقليدي...68

ثانيا: اتجاه التجديد..73

ثالثا: الاتجاه الفني...79

خاتمة...86

فهرسة الموضوعات...88

مسرد المصادر والمراجع...91

مسرد المصادر والمراجع

1. الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

2. الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830-1962، جمال خرشي، ترجمة: عبد السلام عزيزي، إشراف ومراجعة: مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م.

3. إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1930,خير الدين شترة, دار البصائر للنشر والتوزيع,الجزائر,2009م.

4. أنطولوجيا الثقافة والمقاومة. الثقافة الجزائرية في مواجهة الاحتلال الفرنسي، أشكال الصراع السياسي والثقافي في الجزائر، (1830م-1930م)، عمار يزلي، منشورات البيت، الجزائر.

5. الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية، يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

6. تاريخ الأدب الجزائري، محمد بن عمرو الطمار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

7. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت, ط1, 1998م.

8. تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، عبدا لكريم بوصفصاف، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة-الجزائر،2013م.

9. تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، محفوظ قداش، ترجمة: أمحمد بن البار، دار الأمة، برج الكيفان-الجزائر، ط1، 2008م.

10. تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، عبد الوهاب بن خليف، ط1، 2013م، الناشر دار دزاير انفو، الجزائر.

11. التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، عمار بوحوش، دار الغرب الإسلامي, بيروت, ط1, 1997م.

12. تاريخ الصحافة الجزائرية العربية في الجزائر، مفدي زكريا، جمع وتحقيق: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003م، طبع بمطبعة دار هومة.

13. تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، محمد ناصر، المجلد الأول، المقالة الصحفية الجزائرية، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2013م.

14. ثورات الجزائر في القرنين (19-20)، يحي بوعزيز، الجزائر، دار البعث، 1980م.

15. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945، دراسة تاريخية وايديولوجية مقارنة، عبد الكريم بوصفصاف، دائرة الدراسات التاريخية، قسنطينة، الجزائر، 1996م.

16. جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر, محمد طه الحاجري, المطبعة الفنية الحديثة.

17. الجزائر في التاريخ، عثمان سعدي، شركة دار الأمة، برج الكيفان-الجزائر، طبعة2013م.

18. الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939، محمد فنانش، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982م.

19. الحركة الوطنية, أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي, بيروت, لبنان, ط4, 1992.

20. الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1910-1939م، صالح بالحاج، وزارة الثقافة الجزائر.

21. دراسات في الأدب الجزائري الحديث، أبو القاسم سعد الله، دار الراد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007م.

22. ديوان محمد العيد آل خليفة, دار الهدى, عين ميلة, الجزائر.

23. رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد ، محمد الهادي بوطارن ، ط1، 2007م، الملكية للطباعة والنش والتوزيع ، الحراش.

24. سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م، يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م.

25. سياسة فرنسا البربرية في الجزائرية 1830-1930 وانعكاساتها على المغرب العربي، بوضرساية بوعزة، أحمد مناطي، دار الحكمة،الجزائر, 2010م.

26. سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، عبد القادر حلوش، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2010م.

27. الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925م-1975م، محمد ناصر، المجلد الأول، عالم المعرفة، 2013م، المحمدية الجزائر.

28. الشعر الجزائري من الرومانسية إلى الثورية 1925-1962، محمد صالح ناصر، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، محي الدين، الجزائر.

29. شعراء الجزائر في العصر الحاضر، محمد الهادي الزاهري السنوسي، إعداد وتقديم: عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2007م.

30. الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ترك رابح عمامرة، ط2، 1424هـ/2003م، الجزائر.
31. الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، تركي رابح، ط5، 1422هـ-2001م، منشورات ANEP.
32. الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
33. الصحيفة العربية الجزائرية من 1847إلى 1939م، محمد ناصر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، مطبعة أحمد زبانة.
34. الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس (نموذجا)، عبد الكريم بوصفصاف، دار مداد يونيفارسيتي براس، ط1، 2009م، قسنطينة.
35. فلسفة الالتزام في النقد الأدبي، رجاء عيد، 1988م، منشأ المعارف بالإسكندرية، الإسكندرية.
36. قضايا تاريخية في الإسهام الفكري والحضاري للنخب الجزائرية المهجر وأبحاث في قضايا فكرية معاصرة، خير الدين شترة ، دار الصديق للنشر والتوزيع، 2015م، الجزائر.
37. قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جمال قنان، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م.
38. كتاب الجزائر, أحمد توفيق المدني, المطبعة العصرية.
39. كيف تحررت الجزائر؟، المركز الوطني لوثائق الصحافة والإعلام، الجزائر، ط2، 1989م.
40. اللهب المقدس، مفدي زكريا، بيروت، 1961م.
41. المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث صالح خرفي, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1983.
42. مذكرات شاهد قرن، مالك بن نبي، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر سورية، ط2، 1404هـ-1984م.
43. مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954م، محمد الطيب العلوي، منشورات وزارة المجاهدين، الأبيار-الجزائر، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين.
44. مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962م، إبراهيم ميّاسي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013م.
45. المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي ، بسام العسلي ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، طبعة خاصة ، 1431هـ-2010م،دار الرائد ، الينابيع ، الجزائر.
46. من أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد الحسن فضلاء، دار هومة.

47. منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954، خيثر عبد النور وآخرون، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، 2007م.

48. المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية، خير الدين شترة، دار كردادة ، الجزائر، 2013م.

49. الموسوعة الصحفية العربية، تونس-الجزائر-الجماهيرية-المغربية-موريتانيا، محمد حمدان وآخرون، تونس، 1995م،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة.

50. نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927م-1954م، الوناس الحواس، مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار-الجزائر، 1431هـ-2012م.

51. نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، جمال قنان, ديوان المطبوعات الجامعية, 2009م.

52. النقد الأدبي الجزائري الحديث، عمار بن زايد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

53. نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، وزارة الثقافة, الجزائر، 2007م.

54. هذه هي الجزائر، أحمد توفيق المدني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

المجلات:

1. البصائر،" السلسلة الأولى"، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجزائر، (1935-1939).
2. البصائر، السلسلة الثانية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجزائر، (1947-1956).
3. الشهاب، عبد الحميد بن باديس، قسنطينة، (1925-1939).
4. المنتقد، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، اعتنى بها الأستاذ الهادي قطش، 2009م.